نجران في عهد الدولة السعودية الأولى

١١٥٧ – ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤ – ١٨١٨م

دراسة في الأوضاع السياسية والعسكرية

د. أحمد بن يحيى آل فائع
قسم التاريخ ـ كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

ارتبط تاريخ الجزيرة العربية الحديث بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، التي قامت في نجد خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وازدادت أهميتها بوجود النصير السياسي المتمثل في دعم أمير الدرعية محمد بن سعود ومساندته لها؛ حيث توج ذلك الدعم بالبيعة في الدرعية سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م، الذي كان أساسًا لقيام الدولة السعودية الأولى، ومن ثم توسعها حتى شملت معظم أنحاء الجزيرة العربية.

والواقع أن الدولة السعودية الأولى قد تعرضت لعدد من الأخطار إبان مرحلة التوحيد تلك، لعل أبرزها الخطر القادم من شرق الجزيرة العربية المتمثل في هجمات حكام بني خالد، والخطر القادم من الغرب ممثلاً في تحركات أشراف الحجاز، على أن أهم خطر عَرَضَ لها خلال بدايات التوسع

والانتشار كان الخطر القادم من نجران سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، الذي كاد يقضي على تلك الدولة الناشئة في مهدها لو تحقق له النجاح الكامل في معركة الحائر، ولو لم يُحسن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والإمام محمد بن سعود التصرف في ذلك الموقف العصيب.

على أن العلاقة بين قادة الدرعية وزعماء نجران وأهاليها لم تقف عند تلك المعركة؛ بل تبعها كثير من الحوادث والحروب العسكرية، التي تباينت من حيث قوتها وردود أفعالها من مدة لأخرى؛ فمن مرحلة الدفاع التي كانت تمارسها الدولة السعودية في بداية قيامها، إلى مرحلة المبادرة بالهجوم بعد أن تغيّر ميزان القوة لمصلحتها، ثم تلتها مرحلة المراسلة والصلح بين الطرفين بحيث دَفَعَ أهالي نجران الزكاة لقادة الدولة السعودية.

وقد دفع لكتابة هذا البحث؛ بالإضافة إلى أهمية الحدث، عدم وجود دراسة تاريخية علمية متعمقة ترصد علاقة أئمة الدولة السعودية بزعماء نجران في الحقبة المشار إليها، على الرغم من بروز أحداث سياسية وعسكرية في تلك الحقبة المهمة من التاريخ السعودي الحديث تستوجب الدراسة والتحليل. ومن الجدير بذكره أن المصادر والوثائق التي تتحدث عن تاريخ نجران في هذه الحقبة قليلة؛ وهو ما يحتم على الباحث تتبع المصادر والمراجع للحصول على نتف من الأخبار، ومن ثم جمعها ودراستها وتحليلها بهدف التوصل إلى النتائج المرجوة من الدراسة.

نجران: الموقع والحدود والسكان

تقع نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، بين اليمن وعسير والربع الخالي، عند خطي عرض ١٧° و٢٠°، وخطي طول ٤٣° و ٥٢°، وعلى ارتفاع يُراوح بين ١١٠٠ - ١٧٠٠م عن سطح البحر. وتقدر مساحة نجران بنحو ٣٦٥ ألف كم٢(١).

وقد اختُلِف في سبب تسمية نجران بهذا الاسم، فالهمداني يشير إلى أن الموضع سمي باسم صاحبه (نجران)(٢). وقال الحموي إنه سمي باسم نجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان(٣). وقيل إن التسمية مشتقة من كلام أهل نجران، ففي كلامهم أن نجران تعني الخشبة التي يدور عليها رتاج الباب(٤).

ويتمتع نجران بموقع إستراتيجي واقتصادي مهم، فمن الناحية الإستراتيجية يربط بين اليمن ووسط الجزيرة

---

(١) انظر الشريف: عبدالرحمن صادق: جغرافية المملكة العربية السعودية ـ إقليم جنوب غرب المملكة، ج٢، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٣٩١؛ ومجموعة من المؤلفين: آثار منطقة نجران، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ١٨.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص١٦٧.

(٣) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، دار بيروت للنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٦٦.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ص ٢٦٦؛ والأسعد، منذر: نجران التاريخ الخصيب، مجلة الفيصل، ع١٠٩، س١٠، ١٤٠٦هـ، ص٦٢.

العربية وعسير، كما أنه يقع بين سلسلتين من الجبال المنيعة وصحراء الربع الخالي؛ وهو ما يُكسب موقعه حصانة طبيعية. أما من الناحية الاقتصادية والتجارية، فنجران يتميّز بخصوبة أراضيه، وعذوبة مياهه ووفرتها، وتعدد محصولاته الزراعية وطيبها⁽⁵⁾، ويُعد ممرًا تجاريًا مهمًا يربط شمال الجزيرة العربية وشرقها بجنوبها، كما يتميز بوجود عدد من الصناعات المهنية والحرفية، ومنها الصناعات الجلدية والنحاسية والحديدية، وصناعة النسيج والخوص والأواني الفخارية والحجرية والأسلحة وغيرها⁽٦⁾.

وتُعد أسواق نجران من الأسواق المهمة التي يرتادها الناس من داخل نجران وخارجها، ومن أشهرها سوقا الإثنين والخميس، ولا غرو في ذلك فقد اشتهرت أسواقه من قبل الإسلام حيث كانت تصلها البضائع القادمة من بلاد فارس والروم لتباع عن طريق المقايضة بالبضائع القادمة من إفريقيا واليمن⁽٧⁾. يضاف إلى ذلك عبور قوافل الحجيج من اليمن عبر نجران وجبال السروات، وهي مما ينشط الحركة التجارية والاقتصادية في منطقة نجران والمناطق المجاورة لها.

---

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٦٧؛ ومينيوزا، تشيكوف: نجران، ترجمة محمد حسن باكلاّ والمختار غلالة، (د.ت)، ص ١٤٣ - ١٤٥.

(٦) ابن جريس، غيثان بن علي: نجران دراسة تاريخية (ق١ - ق٤ هـ/ ق٧ - ق١٠م)، ج١، ط١، (د.ن)، الرياض، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٩٧ - ٣٢٦.

(٧) كحالة، عمر رضا: جغرافية شبه جزيرة العرب، مراجعة أحمد علي، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٣١؛ والأنصاري، عبدالرحمن الطيّب، وآل مريح، صالح محمد: نجران منطلق القوافل، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور (٣)، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٨ - ١٩.

أما سكان نجران، فقد سكنتها قبائل عربية قديمة مثل: جرهم، ومذحج، وبعض بطون الأزد القحطانية، وهمدان(٨). وأما في العصر الحالي فيسكن نجران عدد من بطون يام التي تنسب إلى همدان القحطانية، وتتكون يام من ثلاث قبائل كبيرة هي: جُشم، وآل فاطمة، ومواجد، ويتفرع من كل قبيلة عدد من البطون والفروع، كما يسكن نجران عدد من القبائل غير اليامية، مثل: الصيعر، ونهد، والمكارمة، وأولاد عبدالله، والأشراف، وغيرهم(٩).

لمحة تاريخية عن نجران:

يُعد نجران من المناطق التاريخية الضاربة في عمق التاريخ في جنوب الجزيرة العربية، وقد عده بعض الجغرافيين القدماء صقعًا منفردًا بنفسه، في حين أشار بعضهم إلى أنه مخلاف من مخاليف مكة، وجعله بعضهم من مخاليف اليمن، باعتبار أن اليمن يعني جنوب الجزيرة العربية.

فالإدريسي عدَّ نجران من مخاليف مكة(١٠). وأيده في ذلك ابن خرداذبة(١١). وذكر البشاري نجران بقوله : " ومن نحو

---

(٨) ابن جريس، نجران، ص ٣١ - ٤٦.

(٩) حمزة، فؤاد: في بلاد عسير، ط٢، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م؛ والماحي، سيد: نجران الأرض والناس والتاريخ، المطابع الأهلية للأوفست، (د. ت. ط)، ص ٢٥.

(١٠) الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن إدريس: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، مكتبة الثقافة الدينية، ١٣١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص١٤٥.

(١١) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله: المسالك والممالك، وضع مقدمته وفهارسه محمد مخزوم، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١١٦.

الطائف مخلاف نجران وتربة والهجيرة وكثبة وجرش"(١٢). وذكر الحموي أنه مخلاف من مخاليف اليمن من ناحية مكة(١٣). في حين أشار ابن سعيد في كتابه "المُغرب في حلى المغرب"، إلى أن نجران صقع منفرد عن اليمن(١٤). والآراء في ذلك كثيرة ومتعددة وليس من مجال هذا البحث تتبعها والغوص في تفصيلاتها(١٥).

وتاريخ نجران غني وحافل بالأحداث والوقائع، فقد تعاقب عليه عدد من الديانات السماوية، وعدد من الحضارات، فالديانة النصرانية وصلت إلى نجران واعتنقها أهله، ثم أعقبتها الديانة اليهودية واعتنقها الملك ذو نواس، وأجبر أهالي نجران على اعتناقها، ولما عصوه حفر الأخدود وأحرق معارضيه، وسورة البروج خير شاهد على ذلك. ثم دخل الدين الإسلامي إلى نجران قبل السنة العاشرة من الهجرة النبوية، وبعده انحسرت الديانتان النصرانية واليهودية(١٦).

---

(١٢) البشاري المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع فهارسه وهوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٨٦.

(١٣) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦.

(١٤) نقلاً عن العقيلي، محمد بن أحمد: نجران في أطوار التاريخ، ط١، مطابع البلاد، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٥٣ - ٥٤.

(١٥) لمزيد من التفصيلات والآراء في ذلك يراجع ابن جريس، نجران، ص٢٧ - ٢٩.

(١٦) الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦- ٢٦٧؛ وحمزة، في بلاد عسير، ص١٧١ - ١٧٢، والماحي، سيد: نجران الحديثة، (د. ط. ت)، ص ١٩ وما بعدها؛ وابن جريس، نجران، ص٤٨ - ٦٨.

وفي ظل الإسلام عاش أهالي نجران تابعين للخلافة الراشدة، والخلافة الأموية، والعصر الأول من الخلافة العباسية(١٧)، إلا أنهم كانوا كما يبدو يديرون شؤونهم بأنفسهم، لا سيما مع ضعف الخلافة العباسية، فقد ورد في بعض الروايات أن حكم نجرانٍ في أواخر العصر العباسي كان بيد بني عبدالمدان ممثلاً في أسرة آل أبي الجود(١٨). وقد استمرت الزعامة فيهم بعد سقوط الخلافة العباسية، فيذكر ابن المجاور الذي زار نجران في القرن السابع الهجري أن بني عبدالمدان ما زالوا يحكمون نجران(١٩). كما تُشير بعض المراجع إلى أن إقليم نجران لم يخضع لدولة الأيوبيين ولا دولة المماليك ولا دولة بني رسول ولا لسلطان الدولة الطاهرية(٢٠).

ويكتنف الغموض بعض الحقب التاريخية في بعض أجزاء الجزيرة العربية في القرون الوسيطة، وينطبق الوضع نفسه على إقليم نجران خاصة من القرن العاشر حتى قيام الدولة

---

(١٧) ابن جريس، نجران، ص ٦٣ - ١١٢.

(١٨) العقيلي، نجران، ص ٩٨ - ١٠١؛ والبلادي، عاتق بن غيث: بين مكة وحضرموت، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٢٣٠.

(١٩) ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب: صفة بلاد اليمن ـ المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها وضبطها أوسكر لوفغرين، مطابع ليدن، ١٩٥١م، ص٢١٠؛ ودلال، عبدالواحد راغب: البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ط١، مطابع التعاون للنشر، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ٣٠٥، ٣٢٥.

(٢٠) العقيلي، نجران، ص١١٠.

السعودية الأولى ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، ويبدو أن ذلك يرجع لعدم وجود سلطة مركزية قوية تحكم المنطقة، ويكون لها تأثير على صنع الأحداث التاريخية، ومع ذلك هناك بعض الإشارات التي تسلط الضوء على بعض تلك الأحداث والوقائع.

فقد ذكر ابن القاسم أن إمام اليمن الإمام شرف الدين(٢١) سار إلى نجُران سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، ودخلها ولبث فيها، لكن جيشه أُصيب بمرض شديد مات منه كثير؛ فعاد أدراجه إلى صنعاء(٢٢)، ولم يُشر المصدر إلى المدة التي مكثها الإمام في نجران. ويبدو أن إمام اليمن أراد بسط نفوذه على نجران لكنه لم يوفق في ذلك، أو أن تحركه ذلك جاء ردًا على تعدياتٍ من أهالي نجران داخل حدود اليمن.

وبعد أن وصل الحكم العثماني الأول إلى اليمن في المدة التي بين سنتي ٩٤٥ ـ ١٠٤٥هـ/ ١٥٣٨ ـ ١٦٣٤م، فإن نفوذهم لم يصل إلى نجران(٢٣)، وربما يعود ذلك إلى عدم اهتمام العثمانيين بالسيطرة على الداخل بقدر اهتمامهم بالسيطرة

---

(٢١) الإمام شرف الدين حكم اليمن لمدة أربعين سنة، ثم اعتزل الإمامة وهاجر إلى الظفير بحجة وبقي بها حتى مات، وفي عهده غزا المماليك الجراكسة اليمن. له مؤلفات من أهمها كتاب (الإثمار)، توفي سنة ٩٦٥هـ. انظر: شرف الدين، أحمد حسين: اليمن عبر التاريخ، ط٣، طبع في مطابع البادية للأوفست، الرياض، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٥٨.

(٢٢) ابن القاسم، يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، مراجعة مصطفى زيادة، ج٢، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ، ص٦٧٧.

(٢٣) العقيلي، نجران، ص١١١.

على الموانئ اليمنية والمدن المهمة في الخليج دون التوسع والتغلغل داخل حدود الجزيرة العربية.

على أن ذلك لم يمنع أئمة الدولة القاسمية في اليمن في تلك الحقبة من محاولة السيطرة على نجران، فيذكر أن الإمام القاسم بن محمد(٢٤) انتقل إلى بَرَط(٢٥)، سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، ومن ثم حاول مد نفوذه على نجران بعد أن كاتبه بعض أهله، ودارت عدة معارك قتل فيها عدد من جنده، فتراجع إلى بَرَط، ويشار إلى أن سبب تلك الهزيمة أن أهالي نجران رفضوا دخوله بلادهم(٢٦). وكذلك في عهدي كل من الإمام المؤيد محمد بن القاسم(٢٧) الذي أخفقت قواته في السيطرة على نجران سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م، وحتى في

---

(٢٤) الإمام المنصور القاسم بن محمد مؤسس الدولة القاسمية، حكم في المدة التي بين سنتي ١٠٠٦ - ١٠٢٩هـ/ ١٥٩٨ - ١٦٢٠م. عالم كبير، من مؤلفاته (الأساس) في علم الكلام، و(الإرشاد في تيسير الاجتهاد) و(الاعتصام) في الحديث. انظر أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص٢٥٩.

(٢٥) بَرَط، بفتحات: جبل مشهور شمال شرق صنعاء، ينسب إلى برط بن كريم بن الدُعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل. وهو جبل فسيح مشهور بجودة مزروعاته، ومن أهمها العنب. المقحفي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٥٥.

(٢٦) المداح، أميرة علي: العثمانيون والإمام محمد بن القاسم في اليمن ١٠٠٦ - ١٠٢٩هـ /١٥٩٨ - ١٦٢٠م، ط١، دار عكاظ للطباعة والنشر، منشورات تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٦٨.

(٢٧) الإمام المتوكل محمد بن القاسم، حكم في المدة التي بين سنتي ١٠٢٩ - ١٠٥٤هـ/ ١٦٢٠ - ١٦٤٤م، بلغت الدولة القاسمية في عهده مبلغًا كبيرًا، ويُعد من العلماء الكبار، وله عدد من المؤلفات العلمية =

عهد المتوكل إسماعيل بن القاسم (١٠٥٤-١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤-١٦٧٦م)، الذي بلغت في عهده الدولة القاسمية أوج قوتها(٢٨).

وفي هذا الصدد، من الملحوظ أنه منذ العقد الأول للقرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وقعت نجران تحت تأثير دعاة المكارمة، الذين أصبح لهم أثر مهم في سير الأحداث التاريخية في نجران خاصة خلال القرون الثلاثة الأخيرة: الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر الهجرية.

وقد اختلفت المصادر في تحديد نسب الدعاة المكارمة وطريقة قدومهم إلى نجران، ودون الدخول في كثير من التفصيلات المتعلقة بتلك الأسرة، فقد ذكر المؤرخ عبدالرحمن البهكلي (١١٨٢ - ١٢٤٨هـ/ ١٧٦٨ - ١٨٣٢م) أن بعض الروايات تنسبهم إلى سيف بن ذي يزن الحميري، كان مسكنهم بطيبة قرب صنعاء، ثم هاجروا إلى نجران في أوائل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فانتشر مذهبهم الإسماعيلي بين قبائل يام(٢٩).

أما فؤاد حمزة فقد كان يعتقد أنهم علويون إلى أن أكد له أحد زعماء المكارمة وهو حسين بن أحمد أنهم قحطانيون،

= والفقهية، وقد اتصف بكثير من الصفات الحسنة مثل الشجاعة والكرم والعلم والتواضع. انظر البسام، حياة محمد: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في اليمن، ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥ وما بعدها.

(٢٨) العقيلي، نجران، ص١١١ - ١١٢.

(٢٩) البهكلي، عبدالرحمن: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشير وعدنان درويش، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٢٣٧ - ٢٣٩.

تنقلوا بين طيبة والقنفذة، ثم وصلوا إلى نجران حيث انتشرت دعوتهم بين قبائل يام وتزعموهم(٣٠). ويذكر حمزة أن أول داع للإسماعيلية في اليمن هو محمد بن إسماعيل المكرمي، وقال: إن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م(٣١)، دون أن يحدد تاريخًا معينًا لقدومهم إلى نجران، وهذا يعني على الأرجح أن وصولهم كان في أواخر القرن الحادي عشر، أو مطلع القرن الثاني عشر الهجريين.

أما جابر المكرمي صاحب مخطوط (عبرة اللبيب)(٣٢)، فقد أشار إلى أن أهالي نجران استدعوا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المكرمي في القرن الحادي عشر الهجري، بعد خروجه من اليمن إلى القنفذة، فذهب إليهم وتَسلّم زعامتهم الروحية(٣٣). ومن الواضح أن هذا المؤلف أدق فيما أورده لاسيما فيما يتعلق بتاريخ قدومهم إلى نجران، لكونه مكرميًا وأعرف بأحداث المكارمة وتواريخهم، كما أن ذلك يتفق هو وما ورد في مخطوط (اللآلئ المضيئة) من أن الإمام القاسم حاول الاستيلاء على نجران سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، لكن أهلها من الباطنية حاربوه بشدة(٣٤).

---

(٣٠) حمزة، في بلاد عسير، ص١٧٣ - ١٧٥.

(٣١) حمزة، في بلاد عسير، ص١٧٣ - ١٧٤.

(٣٢) ذكر الشيخ العقيلي (رحمه الله) أن نسخة من هذا المخطوط في مكتبته، انظر كتابه نجران في أطوار التاريخ، هامش ص١٢٤؛ وانظر فهرسة المخطوطات بالمكتبة العقيلية في كتابه أيضًا، محاضرات في المؤتمرات والجامعات السعودية، مطبوعات نادي جازان الأدبي، بلا تاريخ، ص٤٦.

(٣٣) العقيلي، نجران، ص١٢٤ - ١٢٦.

(٣٤) المداح، العثمانيون والإمام القاسم بن محمد، ص٦٨.

ويشير حمزة إلى أن نشاط النجرانيين بزعامة المكارمة قد ازداد وكثرت تحركاتهم خلال القرون الثلاثة المذكورة آنفًا(٣٥). والواقع أن المتتبع لتواريخ القرون الثلاثة الماضية الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهجرية، يجد أن غزوات المكارمة لا تكاد تنقطع. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد أغاروا غارات كثيرة على اليمن حتى وصلوا حدود بيت الفقيه سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٩م(٣٦)، كما تشير إحدى الوثائق المؤرخة بسنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، إلى أن صلحًا عقد بين إمام اليمن والحسن بن هبة الله المكرمي(٣٧)، بعد أن أغار الأخير وقبائله من يام غارات متعددة على اليمن(٣٨)، علاوة على مجابهتهم القوات السعودية في الربع الأخير من القرن الحادي عشر كما سيتضح فيما بعد.

---

(٣٥) حمزة، في بلاد عسير، ص١٧٣.

(٣٦) زبارة، محمد: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ج٣، ط٢، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٦٢ - ٣٦٣.

(٣٧) الحسن بن هبة الله المكرمي: هو الداعي المطلق، وترتيبه الخامس والثلاثون في سلسلة الدعاة السليمانيين المنفردين الإسماعيليين، تولى رئاسة الدعوة السليمانية بعد وفاة أخيه الداعي إسماعيل بن هبة الله المكرمي، وذلك سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م، واستمر فيها حتى وفاته سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م. انظر ابن فتح الله، سيد نصرالله بن هبة الله: صحيفة الصلاة، حيدر آباد، الهند، ١٣٩٠هـ، ص٦٨٥؛ وقد جانب فؤاد حمزة الصواب حيث قال: إن وفاته كانت سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م. انظر، في بلاد عسير، ص١٧٥.

(٣٨) وثيقة دون رقم، صلح بين الحسن بن هبة الله المكرمي وإمام اليمن مؤرخة بسنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، محفوظة بمكتبة الأستاذ محمد حسن غريب الألمعي في رجال ألمع.

الأوضاع الدينية والعلمية في نجران قبيل سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م:

هناك من يذكر أن الأوضاع الدينية في نجران قبيل قيام الدولة السعودية الأولى كانت سيئة، وأن ممارستهم لأركان الإسلام من صلاة ونحوها تكاد تكون معدومة(٣٩). ومن الواضح أن هذا الوصف لا يخلو من مبالغة وتعميم عن سوء الأحوال الدينية، خاصة مع وجود المذهب الإسماعيلي. ويشير تاريخ الفكر في نجران في القرون الماضية إلى أن أهلها يتمتعون بمساحة جيدة من التعايش الديني والمذهبي. فها هو ذا ابن المجاور الذي زار نجران في القرن السابع الهجري، يتحدث عن الأوضاع الدينية ويذكر أن هناك من يتبع المذهب المالكي، والشافعي، والزيدي(٤٠). وهذا قد يجري على الأزمنة اللاحقة، حتى بعد انتشار المذهب الإسماعيلي بين بعض الأهالي في نجران.

ويرتبط بالحديث عن النواحي الدينية الحديثُ عن النواحي العلمية في إقليم نجران، فيبدو أنها لم تكن سيئة بشكل كبير، حتى وإن كانت سيئة عند العوام أو ضعيفة، فقد حرص بعض المهتمين بالعلوم الشرعية، وكذلك أسرة المكارمة على توارث العلم ونشر مبادئهم بشكل أو بآخر، وما يدعم ذلك وجود آثار مكتوبة ومخطوطات ومؤلفات ووثائق تؤكد

---

(٣٩) العثيمين، عبدالله: تاريخ المملكة العربية السعودية، ج١، ط٤، مطابع الشريف، الرياض، ١٩٨٢م، ص٢٨.

(٤٠) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٢٠٩.

وجود حركة علميّة وفكرية لا بأس بها في إقليم نجران، ومن ذلك على سبيل المثال، وجود بعض المخطوطات لبعض المكارمة تؤرخ لأزمنة ماضية، ومنها مخطوط (عبرة اللبيب) لجابر المكرمي(٤١)، وتاريخ دعاة المكارمة(٤٢)، وتفسير للقرآن الكريم(٤٣)، كما وجدت بعض الوثائق التي تعود إلى القرون التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجرية، تتناول إصلاحًا بين الدعاة المكارمة وجيرانهم، وبعضها تتحدث عن أنساب ووصايا وبيوع ومواريث وغير ذلك من الأمور الحياتية التي يعيشها المجتمع النجراني(٤٤).

بالإضافة إلى ما سبق فقد وجدت كتابات وصور تحمل توقيعات بعض المكارمة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فلقد وجد على تلك الكتابات تواريخ تعود إلى سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م، وتواريخ وتوقيعات تحمل

---

(٤١) انظر فهرسة المخطوطات في المكتبة العقيلية للعقيلي في كتابه (محاضرات في المؤتمرات والجامعات السعودية)، ص٤٦؛ وكتابه، نجران في أطوار التاريخ، ص١٢٤.

(٤٢) عبدالله أبوداهش: أثر دعوة ابن عبدالوهاب على الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية، ط١، مطابع الشريف، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٣١؛ وحمزة، في بلاد عسير، ص١٧٤.

(٤٣) أبو داهش، أثر دعوة ابن عبدالوهاب، ص٣١.

(٤٤) بعض هذه الوثائق محفوظ بمكتبة الأستاذ محمد حسن غريب الألمعي برجال ألمع، ومنها الوثيقة المذكورة آنفًا؛ التي تتحدث عن الصلح بين الحسن بن هبة الله وإمام اليمن سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م؛ وفلبي، هاري سنت جون: مرتفعات الجزيرة العربية، تعريب، حسن مصطفى حسن، راجعه وعلق عليه، غيثان بن علي بن جريس، ج١، ط١، مطابع العبيكان، الرياض، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٧٣ - ٤٧٤.

بعض الأسماء المقروءة، مثل: سلمان بن محمد بن إسماعيل المكرمي، وهبة الله بن إبراهيم، وكلاهما بتاريخ ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م، وكذلك علي بن حسين بن علي المكرمي في العام نفسه، ومهدي بن جعفر بن هبة الله سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م، وحسين بن سلمان بن أحمد سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م، وحسن بن علي بن هبة الله المكرمي سنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م(٤٥)، وغيرها من التواريخ والكتابات التي تدل على وجود حركة علمية، وحرص على التدوين، وتدل أيضًا على وجود حلقات علمية وكتاتيب، ولا يستبعد أن تكون هناك رحلات في طلب العلم تتجه إلى اليمن أو إلى مكة المكرمة في مواسم الحج.

الدولة السعودية الأولى وتوسعها:

ظهرت في نجد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٤٦) الإصلاحية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن

---

(٤٥) فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٥٢٦.

(٤٦) محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد التميمي، ولد في العيينة سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وتعلم بها، ثم رحل في طلب العلم إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة والأحساء، وبعد عودته إلى نجد بدأ دعوته الإصلاحية التي انتشرت بدعم أمير الدرعية محمد بن سعود ومساندته بعد البيعة التي حصلت بينهما في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م). توفي الشيخ محمد سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م. عن حياته ورحلاته العلمية ودعوته الإصلاحية انظر: ابن غنام، حسين: روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام - المسمى تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط٣، دار الشروق، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨١ وما بعدها؛ وابن بشر، عثمان: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ، ج١، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٣٣ وما بعدها.

عشر الميلادي، لتزيل ما علق بأفكار المسلمين الدينية من غشاوة وظلمة، وتصلح المجتمع وتبدد ما كان منتشرًا من خرافات وبدع وعقائد فاسدة.

وقد بدأت دعوة الشيخ محمد الإصلاحية في حريملاء، ثم انتقل إلى بلدة العيينة في سنة ١٢٥٤هـ/١٧٤١م، حيث رحب به واستقبله أميرها عثمان بن معمر، ووقف معه في نشر تلك الدعوة وتطبيق المبادئ والأسس الإسلامية التي جاءت تلك الدعوة للعمل بها وإحيائها(٤٧)؛ لكن ضغط زعيم بني خالد سليمان بن محمد آل حميد على الأمير عثمان بن معمر أدى إلى خروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة متجهًا إلى الدرعية، وقد رحب به أميرها محمد بن سعود وتمت البيعة بينهما، وتعهد الشيخ محمد بعدم مغادرة الدرعية، في مقابل حمايته ونصرته ودعمه في نشر تلك الدعوة، وكان ذلك في سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م. وهو تاريخ قيام الدولة السعودية الأولى(٤٨).

وعلى الرغم من قوة المعارضة التي واجهتها في بدء الدعوة وتكوين الدولة، فقد أخذت الدعوة الإصلاحية في الانتشار وواكبها توسع نفوذ الدولة السعودية. أما المعارضة فقد انقسمت إلى قسمين: معارضة فكرية تزعمها مجموعة من العلماء في نجد، ومعارضة سياسية وعسكرية من داخل

---

(٤٧) ابن غنام، تاريخ نجد، ص٨٣ - ٨٦؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٣٧ - ٤٠.

(٤٨) ابن غنام، تاريخ نجد، ص٨٣ - ٨٦؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٤٠ - ٤٦.

نجد تزعمها أمير الرياض، وكذلك من خارج نجد تزعمتها قوى مثل بني خالد في الأحساء، والأشراف في الحجاز.

وعمومًا، استطاعت الدولة السعودية التغلب على تلك القوى مع مرور الوقت وازدياد أتباع الدعوة والدولة، فوحدت نجد بعد أكثر من أربعين عامًا، بعد أن تخلصت من أكبر زعماء المعارضة النجدية في الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، ثم سهُل عليها ضم باقي مناطق نجد الجنوبية كالخرج والدلم حتى وادي الدواسر، والشمالية كالقصيم وجبل شمر وما والاها(٤٩)؛ على الرغم مما عُرِّض له قادة الدرعية من هزة عنيفة خلال تلك المرحلة تمثلت في هجوم زعيم نجران على نجد سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، كما سوف أتناوله في موطنه من الدراسة.

وبعد توحيد نجد اتجهت أنظار قادة الدرعية للأحساء ذات الموقع الاستراتيجي والاقتصادي المهم في شرق الجزيرة العربية، بهدف نشر الدعوة الإصلاحية، وتوسيع رقعة الدولة الناشئة، والحصول على مصادر اقتصادية جديدة، والوصول إلى البحر، وقد استطاع السعوديون السيطرة على الأحساء بعد حروب طويلة سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م، حيث ضمت نهائيًا سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م(٥٠).

---

(٤٩) ابن بشر، عنوان المجد، ص٤٨ – ١٢٠؛ وعبدالرحيم، عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى، ج١، ط ٥، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٦٥ – ٦٩.

(٥٠) الوهبي، عبدالكريم: بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ط١، دار ثقيف للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ت)، ص٣١١ – ٣٥١؛ وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص٨٥ – ١٠٠.

على أن أشراف الحجاز في الجهة الغربية من الجزيرة العربية كانوا يتحينون الفرصة للقضاء على الدولة السعودية الناشئة. وقد بدأ الشريف غالب بن مساعد(١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٧-١٨١٣م)، بالتحرك صوب نجد، بعد أن رأى إخفاق المعارضة في نجد وزعامة بني خالد في القضاء على تلك الدولة، فهجم هجومًا فاشلاً سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م، ثم تكبد خسارة كبيرة في الجمّانية سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، على يد أتباع الدولة السعودية، وألحقوا به هزيمة أخرى، في الخرمة سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م؛ وهذا دفعه لطلب الصلح مع قادة الدرعية في السنة التالية ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م(٥١).

وقد كان لذلك الصلح أثره الحسن في توسع نفوذ الدولة السعودية وسيطرتها على الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، فدخلت بيشة في طاعتها سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ثم انضوت باقي بلدان عسير السراة وتهامة بزعامة آل المتحمي سنة ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م، تحت سيطرة الدولة، كما امتدت سلطتها إلى المخلاف السليماني، سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م(٥٢)،

---

(٥١) ابن بشر، عنوان المجد، ص١٣٩ - ١٦١؛ وبشاوري، سامية: إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ - ١٢٢٨هـ، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم التاريخ في جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص١٢٧ وما بعدها.

(٥٢) العجيلي، محمد بن هادي: الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين، تحقيق عبدالله أبوداهش، ط١، مطابع مازن، أبها، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٢ وما بعدها؛ والحفظي، محمد بن أحمد: نفح العود في تكملة الظل الممدود في تاريخ ملوك آل سعود الأولين، مخطوط بمكتبة الأستاذ عبدالقادر الحفظي في أبها، ق٢.

بقيادة الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي(٥٣)، وبذلك اتسعت الدولة السعودية وأصبحت مرهوبة الجانب، وحاصرت الحجاز من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية، وبالفعل ففي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، دخلت القوات السعودية الحجاز، ثم ضم الإمام سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨-١٢٢٩هـ/١٨١٤-١٨١٥م)، الذي خلف والده في الحكم، الحجاز سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م(٥٤). لتصبح الدولة السعودية في عهده في أوج اتساعها وقوتها.

أخبار الدعوة الإصلاحية في نجران:

من الواضح أن أخبار الدعوة الإصلاحية وصلت إلى نجران منذ وقت مبكر إذا ما ووزنت بتاريخ وصول أخبار الدعوة إلى بلاد عسير القريبة منها؛ التي تشير المصادر العسيرية إلى أن وصولها كان سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م(٥٥)؛ بدليل هجوم زعيم نجران على نجد قبل ذلك التاريخ بأكثر من خمسة وعشرين عامًا، وتحديدًا عام ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م؛

---

(٥٣) عن الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي وعن جهوده في خدمة الدولة السعودية الأولى ينظر آل فائع، أحمد يحيى: دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها ١٢١٥ - ١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠ - ١٨١٨م، ط١، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٦٥ - ٢٤٤.

(٥٤) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٦٢ - ٢٦٣، ٢٨٤ - ٢٨٨؛ ودحلان، أحمد زيني: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ط١، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص٢٦٧ وما بعدها؛ وبشاوري، إمارة الشريف غالب، ص١٢٧ وما بعدها.

(٥٥) العجيلي، الظل الممدود، ص٢٢ - ٢٣؛ والحفظي، نفح العود، ق٢.

على أن من المؤكد أيضًا أن أخبار الدعوة وصلت قبل ذلك التاريخ أيضًا.

وفيما يتعلق بنجران فإن المصادر المتوافرة لا تعطي صورة واضحة ومحددة متى وكيف وصلت الدعوة الإصلاحية إلى نجران؛ فإن من المرجح أن يكون وصولها في البدء من طريق اليمن. ومن المعروف أن أخبار الدعوة وصلت إلى اليمن منذ وقت مبكر، حيث ذكر الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني(٥٦) أن أخبار الدعوة وصلت إلى اليمن في سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م؛ وهذا جعله يستبشر بها ويراسل الشيخ محمد بن عبدالوهاب سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٤٩م(٥٧)، مع قصيدته الشهيرة:

سلامي على نجد ومن حل في نجد
وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي(٥٨).

وأخذت من اليمن أخبار الدعوة الإصلاحية في الانتشار جنوب غرب الجزيرة العربية، فوصلت إلى نجران والمخلاف

---

(٥٦) الصنعاني: عالم محقق من علماء اليمن الكبار في القرن الثاني عشر الهجري. انظر الأكوع، إسماعيل بن علي: هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج٤، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص١٨١٥ وما بعدها.

(٥٧) الجاسر، حمد: الصلات الأولى بين صنعاء والدرعية، مجلة العرب، ج٧ - ٨، س٢٢، المحرم - صفر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص٤٣٣ - ٤٣٤؛ والأكوع، هجر العلم، ص١٨١٧م، وأبو داهش، عبدالله: ظهور دعوة ابن عبدالوهاب في بلدان جنوب الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع٣، س١٠، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص١٦.

(٥٨) ابن بشر، عنوان المجد، ص١٠٧.

السليماني. ومع هذا فهناك وثيقة تشير إلى أن بدء العلاقة بين زعماء الدرعية وزعماء نجران يعود إلى سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦١م، حيث ورد فيها قيام حلف بين محمد بن سعود والحسن بن هبة الله المكرمي(٥٩). ويميل أبوداهش إلى أنها بمثابة صلح سياسي بين الطرفين لم يُعلم محتواه، وأشار إلى نقضه فيما بعد(٦٠). وإذا ما صحت هذه الوثيقة فهذا يعني أن هناك علاقة سابقة بين الطرفين سبقت ذلك التاريخ. ويظهر أنها وثيقة الصلح الذي تم بين الطرفين سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. فحسب اطلاعي على الوثيقة المذكورة يُلحظ أنها كُتِبت في وقت متأخر أو نقِلت من الوثيقة الأصلية وحصل فيها بعض التصحيف والخطأ في التاريخ؛ لأن أسلوبها وخطها جميل، ولا يوحي بصلة إلى أسلوب تلك المدة وخطها، ثم إن المصادر النجدية وغير النجدية المعاصرة لم تُشِر إلى وجود علاقة بين الطرفين في تلك المدة.

معركة الحائر سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م:

أدى توسع رقعة الدولة السعودية الأولى إلى حدوث عدة صدامات لقوى الجوار؛ كان لها أثر على الدولة إما حسنًا وإما سيئًا، ومن تلك الصدامات التي أثرت تأثيرًا سيئًا في ذلك التوسع ما حدث سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م، بين القوات السعودية التي يقودها الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود،

---

(٥٩) وثيقة صلح بين الإمام محمد بن سعود والحسن بن هبة الله المكرمي، غير منشورة، بمكتبة الأستاذ محمد حسن غريب الألمعي في رجال ألمع.

(٦٠) أبوداهش، ظهور دعوة ابن عبدالوهاب، ص١٠.

وبعض بطون قبيلة العجمان في موضعٍ يسمى قذلة(٦١) بالقرب من القويعية، فقتل خمسين رجلاً منهم، وأسر نحو المائتين، وأخذ ركابهم وخيلهم، وهو ما دفعهم للجوء إلى صاحب نجران وقبائله من يام للاستنجاد بهم ضد قادة الدرعية(٦٢). وبالفعل فقد هبَّ الحسن بن هبة الله المكرمي وأهالي نجران لمساعدة العجمان في حربهم تلك ضد السعوديين سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م. والسؤال المهم الذي يطرح هنا هو: لماذا تحرك النجرانيون وعلى رأسهم الحسن بن هبة الله المكرمي لدعم قبيلة العجمان؟.

لم تتطرق المصادر النجدية المعاصرة والقريبة من الحدث كابن غنام وابن بشر إلى سبب لجوء العجمان لليامية، واكتفى المؤرخان بالإشارة إلى أنهم طلبوا منهم المساعدة للأخذ بالثأر(٦٣). ولعل في ذلك إشارة غير مباشرة إلى أن هناك روابط تربط اليامية بالعجمان وإلا لما استنجدوا بهم دون سواهم، علمًا أن ابن غنام لم ينصٍ على مسمى العجمان؛ بل ذكر أنهم من أهل اليمن، موازنةً بابن بشر الذي نص على أنهم من العجمان. أما صاحب لمع الشهاب وهو معاصر أيضًا فقد أشار إلى أن هناك رابطة نسب بين اليامية والعجمان، فذكر أن العجمان يعودون في نسبهم إلى يام ثم إلى

---

(٦١) تقع قذلة بين بلدة القويعية والنفود في عالية نجد. ابن بشر، عنوان المجد، ص ٩١.

(٦٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٤؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩١ - ٩٢.

(٦٣) المصادر السابقة والصفحات نفسها.

قحطان(٦٤). ومن المعروف أن قبيلة العجمان تعود في أصولها إلى قحطان.

وهناك من يشير إلى أن الخلاف المذهبي كان من دوافع تحرك زعيم نجران إلى نجد(٦٥). وكما يظهر فإن زعيم نجران كان مدفوعًا بعامل الانتقام والأخذ بالثأر لقبائل العجمان، بالإضافة إلى تحقيق مكاسب مادية، ومما يبرر ذلك إغفال ابن غنام وابن بشر للعامل المذهبي بوصفه محركًا لزعيم نجران لخوض تلك الحرب، ولم يكن ليفوتهما ذلك وهما من المؤيدين؛ بل من المتحمسين للدعوة بشكل كبير. وكذلك لو كان الخلاف مذهبيًا لما توقف ذلك الزعيم عند طلب السعوديين للصلح، وهو الطرف المنتصر والأقوى، وقد يكون انتصاره في الحائر(٦٦) دافعًا له لمواصلة الحرب والقضاء على الدعوة والدولة في مهدها الدرعية؛ بل إن زعيم نجران رفض كل الإغراءات والأموال التي قُدِّمت له من زعماء نجد وبني خالد المناوئين للدعوة بعد أن أتم الصلح مع السعوديين. وقد أكد ذلك بنفسه في رده على زعيم بني خالد حيث قال: " لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري الصلح بيننا

---

(٦٤) مؤلف مجهول: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، (د. ت)، ص٦٥.

(٦٥) العثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠١.

(٦٦) الحائر: جنوب الرياض، ويبعد عنها بنحو ٣٥ كم تقريبًا، ويُعرَف أيضًا باسم حائر سبيع؛ لأن سكانه من قبيلة سبيع. انظر: ابن خميس، عبدالله بن محمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - معجم اليمامة، ج١، ط١، مطبعة الفرزدق، ١٣٨٨هـ/ ١٩٧٨م، ص٢٨٧ - ٢٨٨.

وبينه لانتظم الأمر على وفق خاطرك، لكن الآن حصل مرادنا من الانتقام وقد طُلِب منا العفو، ونحن أهل له عند القدرة، وأعطيناه، فلا يمكننا إبدال القول"(٦٧).

إذاً فلِم تقدم الحسن بن هبة الله على رأس تلك القوة وهو الزعيم الروحي والديني لليامية، ويمكن القول: إن هذه هي المرة الأولى التي تتقدم فيها قوات يام إلى نجد، ووجود الحسن بن هبة الله فيه تحفيز وحشد لقواته على خوض معركة ضد قوة جديدة قد صوِّر له أنها من القوة بمكان.

وهناك رواية أخرى يجب توضيحها والرد عليها، فقد ذكر ستيورات أن سبب الهجوم النجراني على نجد يعود إلى أنه وقع في أيدي قادة الدرعية أسرى من اليمن فأساؤوا معاملتهم، فزحف إليهم أحد أمراء اليمن وهو الحسن بن هبة الله المكرمي، وانضم إليه زعماء الأطراف ومن جملتهم ابن دواس الذي انتقض على ابن سعود وحاصروا الدرعية(٦٨).

ومن الواضح أن هذه الرواية تتصف بالارتباك وعدم الدقة، وذلك أن ستيوارت عد زعيم نجران من أمراء اليمن، وهذا غير دقيق، إذ إن مصطلح (يَمَن) واسع ويشمل كل ما هو جنوب مكة، كما يُعد كل ما هو شمالها شاماً؛ وكان نجران مستقلاً في ذلك الوقت ولا يتبع لأئمة اليمن. وأيضاً قد يُفهم من روايته أن الحسن بن هبة الله تحرك بمبادرة منه نتيجة

---

(٦٧) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٤٢.

(٦٨) ستيورات، لوثروب: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، وتعليق الأمير شكيب أرسلان، ٤ أجزاء في مجلدين، ط٤، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ، المجلد الثاني، ج٤، ص١٦٢.

حادثة الأسرى المذكورة، والواقع أن تحركه جاء بناءً على طلب من أبناء قبيلة العجمان التي تربطهم رابطة نسب باليامية، وذلك نتيجة لمعركة قذلة السابق ذكرها لا حادثة الأسرى التي أشار إليها. ولهذا يبدو أن ستيوارت اعتمد في روايته تلك على ابن غنام لا سيما فيما يتعلق بذكره لأهل اليمن، ومع هذا فما ذكره ستيورات يخالف ما أورده ابن غنام عن تفصيلات تلك الحادثة(٦٩). علاوة على أنه ذكر أن ابن دواس شارك الحسنَ بن هبة الله المكرمي وأنهم حاصروا الدرعية، وهذا غير دقيق أيضًا؛ فمن المؤكد أن الحسن بن هبة الله لم يحاصر الدرعية، ولم يحدث اتفاق بين الطرفين لتوحيد جهودهم العسكرية ضد السعوديين؛ نتيجة الصلح الذي تم بين قادة الدرعية وزعيم نجران بعد معركة الحائر.

ومن الروايات المشوّشة فيما يتعلق بموضوع نجران التي أرى توضيحها رواية الدكتور جاد طه، التي ذكر فيها أن عبدالوهاب ـ يقصد محمد بن عبدالوهاب ـ قد نجح بمعاونة تابعه القوي الشيخ مكرمي في نجران في نقل انتصاراته إلى اليمن(٧٠). ومن الواضح عدم الدقة في هذه الرواية، فالمكرمي ليس تابعًا قويًا لإمام الدرعية؛ بل من أبرز خصوم الدرعية في وقته، وما ذكره ينطبق أكثر على أمير عسير عبدالوهاب بن عامر المتحمي، أحد أبرز المناصرين للدعوة الإصلاحية وللدولة السعودية الأولى.

---

(٦٩) راجع رواية ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٤.

(٧٠) طه، جاد: سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت)، ص٤٩.

سير المعركة ونتائجها:

جهّز الحسن بن هبة الله المكرمي قوة كبيرة من الحاضرة والبادية، قدَّرهم صاحب (لمع الشهاب) بألف ومئتين، منهم أربعمئة فارس وثمانمئة تفّاق (محارب بالبندقية)(٧١)، إضافة إلى قبيلة العجمان وحلفائهم من مناطق أخرى. أما ابن بشر وابن غنام فلم يحددا عدد قوات الحسن بن هبة الله، فقد ذكر ابن غنام أنه جمع أهل البلد حاضرة وبادية وأنه انضمت إليه قبائل يمنية أخرى(٧٢)، في حين اكتفى ابن بشر بقوله: فأقبل بجموع عظيمة(٧٣)، وتوجه بهم إلى نجد.

أما أعداد القوات السعودية فقد ذكر ابن غنام أن الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود قائد القوات السعودية جمع مقاتلة المسلمين ممن بلغ سن الاحتلام(٧٤)؛ ومع أن ابن غنام لم يقدر عددهم، فإن عبارته تعني أن الأمير عبدالعزيز اضطر إلى جلب كل من يستطيع مجابهة العدو؛ وهذا يدل على إدراكه خطورة العدو القادم. أما ابن بشر فلم يذكر شيئًا عن عدد القوات السعودية(٧٥). وقدرها صاحب (لمع الشهاب) بأربعة آلاف مقاتل(٧٦). كما قدرها صاحب كتاب (كيف كان

---

(٧١) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٣٩.

(٧٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥.

(٧٣) ابن بشر، عنوان المجد، ص١٩٣.

(٧٤) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥.

(٧٥) ابن بشر، عنوان المجد، ص٩٣.

(٧٦) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٤٠.

ظهور شيخ الإسلام)، باثني عشر ألف مقاتل(٧٧)، وأيًا كانت دقة الأعداد فمن الواضح أنها كبيرة.

تقدم الحسن بن هبة الله المكرمي وجنوده صوب نجد حتى وصلوا الحائر، ودخلوها بعد قتال استمر عدة أيام، ثم وصلت القوات السعودية بقيادة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين، انتهت بهزيمة القوات السعودية هزيمة قاسية(٧٨).

وبعد انتصارها بقيت القوات أيامًا في الحائر، ثم ارتحل بهم الرئيس النجراني حتى نزل بالقرب من قصر الغذوانة(٧٩)، فخرج إليه أهل ذلك القصر وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص، وأخذوا نحو عشرين من إبله، ثم تحصنوا داخل قصرهم(٨٠).

---

(٧٧) مؤلف مجهول: كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٦٣.

(٧٨) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٤ – ١٢٥؛ ومؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص ٤٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩٣ – ٩٤؛ ومؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص٦٣ – ٦٤.

(٧٩) الغذوانة ـ بفتح العين، والذال، والواو، وبعدها ألف، فنون مفتوحة، فهاء–: شعب يقع في غرب الرياض يسيل على الباطن بين أم قصر والسويدي. وذكر ابن خميس أن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ابتنى به قصرًا (قصر الغذوانة) للضغط على دهام بن دواس، وقال أيضًا: إن ذلك القصر كان مركزًا لإحدى سرايا الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بقيادة محمد بن غشيّان الذي جعل يكر منه على جيش المكرمي بعد هزيمة الحائر. انظر ابن خميس، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ـ معجم اليمامة، ج٢، ص٢١٧.

(٨٠) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩٥.

ويبدو واضحًا أن ذلك الهجوم كان على إبل القوات النجرانية ورعاتها ولم يكن على الجيش، إذ أخذوهم على حين غرة وهاجموهم ثم تحصنوا داخل قصرهم. ولعل ذلك كان في أثناء سير مفاوضات الصلح الجارية بين الحسن بن هبة الله والسعوديين بعد المعركة، أو بعدها بقليل؛ لأن ابن غنام وابن بشر أشارا إلى أنه بعد تلك الحادثة وصلت النجراني وفود دهام بن دواس، وزيد بن زامل، وفيصل بن سويط، للاتفاق معه ضد السعوديين(٨١).

وعند الحديث عن أسباب خسارة القوات السعودية في معركة الحائر، لا يوجد سبب واضح معين؛ وهو ما يدعو للاعتقاد أن هناك أكثر من سبب وراء تلك الهزيمة، ولاسيما أن المصادر المعاصرة لا تعطي صورة واضحة عن طريقة سير المعركة عسكريًا، فابن غنام عزا سبب الهزيمة إلى أن السعوديين ساروا إلى الحائر وهم مُعْتَدّون بأنفسهم، معجبون بقوتهم، مزهوون بكثرة عددهم، وكان ذلك يوجب عقاب الله(٨٢). أما ابن بشر فيعيد الهزيمة إلى أن إرادة الله هي التي هزمت المسلمين(٨٣).

وربما يوجد سبب آخر مهم أثر في سير المعركة، على خلاف ما ذكرته المصادر المعاصرة - ومنها ابن غنام، وابن بشر، وصاحب لمع الشهاب، وصاحب كيف كان ظهور شيخ

---

(٨١) المصادر السابقة الصفحات نفسها.

(٨٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥.

(٨٣) ابن بشر، عنوان المجد، ص٩٤.

الإسلام- التي بالغت في أعداد القوات السعودية وقوتها واعتدادها بنفسها، والواقع غير ذلك؛ فالقوة السعودية قوة ناشئة قد أنهكتها الحروب المتوالية لقوى الجوار، لا سيما محاربة أمير الرياض دهام بن دواس، ولم يسبق لها أن خاضت معارك بهذه القوة من قبل. والدخول في مواجهة من هذا الحجم يحتاج إلى جرأة وإقدام وتكتيك عسكري جيد يختلف عمّا كانت تقوم به من غارات سريعة وخاطفة، أو دفاع مؤقت، وهو ما جعلها تُمْنى بمثل تلك الهزيمة القاسية.

- الصلح بين الطرفين:

ثَمَّ قصور واضح في المصادر المعاصرة في تقديم معلومات وافية عن بنود الصلح الذي تم بين قادة الدولة السعودية وزعيم نجران بعد معركة الحائر، مقدار الأموال التي دُفعت للزعيم النجراني، وكيف تمت إدارة ذلك الصلح، وهو ما يدفع إلى التقاط الإشارات المتناثرة بين المصادر والمراجع التي تطرقت للموضوع من أجل تكوين صورة واضحة عن بنود ذلك الصلح.

فابن غنام يذكر أن بعض الزعماء المناوئين للسعوديين في نجد، مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل وغيرهم، توجهوا للزعيم النجراني يستحثونه على البقاء، فذكر لهم أنه قد كاتب السعوديين بأن يطلقوا أسراه ويطلق أسراهم، فلما تم ذلك رحل إلى بلاده(٨٤). ومع قصور هذه الرواية عن إعطاء صورة واضحة لطريقة ذلك الصلح وبنوده، فإن كلام ابن غنام يوحي بأن زعيم نجران هو الذي بدأ المكاتبة بهدف إطلاق أسراه.

---

(٨٤) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٦.

أما ابن بشر فيذكر أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود بعثا فيصل بن شهيل بن سويط (زعيم قبائل الظفير)، إلى صاحب نجران وصالحهم وأطلقوا له الأسرى الذين عندهم من العجمان، وأطلق النجراني أسراهم ورحل إلى وطنه(٨٥). وهذه الرواية في مضمونها أقرب للواقع وفهم الحدث على الرغم من قصورها في الحديث عن تفصيلات بنود الصلح، وذلك من حيث مبادرة قادة الدرعية بطلب الصلح من زعيم نجران، وهذا على خلاف رواية ابن غنام؛ لأنه من غير المتوقع أن يبدأ المنتصر بالمكاتبة لطلب تبادل الأسرى.

أما صاحب (لمع الشهاب) فيذكر أن محمد بن سعود أرسل بأمر محمد بن عبدالوهاب بعض أولاده -غير عبدالعزيز- وبعض نساء أهل بيتهم، ومئة وعشرين فرسًا للنجراني، كما كتب كتابًا يلتمس فيه الصلح(٨٦). ومع أنه يصعب التسليم بما أورده صاحب اللمع من حيث إرسال الأولاد والنساء، إذ لا يوجد مسوّغ أو عرف لمثل ذلك السلوك، إضافة إلى أن المصادر المعاصرة والقريبة من الحدث كابن غنام وابن بشر لم تُشِر إليها؛ فإن تلك الرواية من حيث منطقيتها في مبادرة السعوديين لطلب الصلح أقرب إلى الواقع والفهم. وتتميز هذه الرواية عن سابقاتها بكون مؤلفها أورد بعض التفصيلات المتعلقة بالهدايا التي قُدِّمت للزعيم للنجراني.

---

(٨٥) ابن بشر، عنوان المجد، ص٩٥.

(٨٦) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٤٠ - ٤١.

أما رواية صاحب كتاب (كيف كان ظهور شيخ الإسلام)، فتقول : إنه بعد الهزيمة التي حلّت بالسعوديين ذهب عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى الشيخ محمد وأخبره الخبر، فأرسل الشيخ محمد إلى فيصل بن سويط، وبعثه للتوسط عند زعيم نجران، وبعث معه بخمسمئة جنيه ذهبًا، وطلب منه إطلاق الأسرى(٨٧). وتتفق هذه الرواية هي ورواية ابن بشر وصاحب اللمع من حيث المبادرة بطلب الصلح، ولكن تختلف عنها بتحديد المبلغ المدفوع للزعيم النجراني، وهو خمسمئة جنيه ذهب، وهي الرواية الوحيدة التي حددت المبلغ.

ويورد العجلاني روايات بعض المؤرخين الفرنسيين، ومنهم المؤرخ ميشو الذي ذكر أن محمد بن سعود دفع لغزاة اليمن أموالاً كثيرة أرضتِهم، فرجعوا إلى بلادهم(٨٨). وهذه الرواية كسابقاتها تتناول الموضوع بعمومية دون إيراد تفصيلات عن مقدار تلك المبالغ المدفوعة. كما أورد رواية كارستن نيبور المعاصر لابن عبدالوهاب، فذكر أن السعوديين دفعوا مبلغًا كبيرًا من المال لصاحب نجران، كما وعدوه بإرسال مبلغ من المال كل سنة(٨٩). وتختلف هذه الرواية عن الروايات السابقة بإضافة بند يتعلق بإرسال مبلغ من المال لصاحب نجران كل

---

(٨٧) مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص٦٥.

(٨٨) العجلاني، منير: تاريخ البلاد السعودية ـ الدولة السعودية الأولى، ج١، ط١، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٥٩.

(٨٩) منير العجلاني، تاريخ البلاد السعودية، ص١٦٠.

سنة. والمتأمل لهذه الرواية يدرك أن نيبور التقطها من الناس في أثناء رحلته دون تثبت، وهي رواية غير دقيقة؛ فلم يثبت من خلال المصادر المعاصرة أن السعوديين دفعوا مبالغ مالية سنوية لزعيم نجران، ولو كان ذلك صحيحًا لما أغفلتها المصادر، ولما سكت زعيم نجران عنها في حال امتناع السعوديين من دفعها.

كما وجدت وثيقة غير منشورة تذكر أن صلحًا تم بين محمد بن سعود وزعيم نجران الحسن بن هبة الله المكرمي(٩٠). ولكن دون أن تعطي صورة واضحة عن بنود ذلك الصلح وشروطه، ولا المبالغ المالية التي دُفعت له.

أما ألويس موزل فقد اكتفى عند حديثه عن المعركة بقوله: إن السعوديين عقدوا صلحًا مذلاً بعض الشيء مع زعيم نجران(٩١)، دون أن يذكر تفصيلات ذلك الصلح وبنوده. وهنا يمكن القول إن الزعامة السعودية هي التي بادرت بطلب الصلح مع زعيم نجران، ودفعت له مبلغًا كبيرًا من المال بالإضافة إلى كثير من الهدايا من أجل إتمام ذلك الصلح.

نتائج المعركة المباشرة وغير المباشرة:

أما نتائج المعركة المباشرة ومقدار الخسائر الناجمة عنها فيمكن إجمالها في جانبين: الأول انتصار القوات النجرانية ومن معهم من الحلفاء، والثاني هزيمة كبيرة للقوات

---

(٩٠) سبقت الإشارة إليها.

(٩١) موزل، ألويس: شمال نجد، مجلة العرب، ج٣ - ٤، س١١، رمضان - شوال ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص٢١٣.

السعودية، ولعلها تكون من أكبر الهزائم التي مُنيت بها الدولة إبّان مراحل التوحيد في تلك المدة.

أما خسائر الطرفين في تلك المعركة، فقد اختلفت المصادر في تقديراتها، فيشير ابن غنام إلى مقتل ٤٠٠ وأسر ٣٠٠ من السعوديين(٩٢). أما ابن بشر فيذكر أن عدد القتلى نحو ٥٠٠، والأسرى نحو٢٢٠؛ وقد فصّل بعض الشيء في قتلى المدن، فقال إنه قُتل من أهل الدرعية ٧٧، ومن أهل منفوحة ٧٠، ومن أهل الرياض ٥٠، ومن أهل عرقة ٢٣، ومن أهل العيينة ٢٨، ومن أهل حريملاء ١٦، ومن أهل ضرما ٤٩، ومن أهل ثادق رجل واحد(٩٣).

ويتفق صاحب لمع الشهاب هو وابن غنام من حيث عدد القتلى وهو ٤٠٠ قتيل؛ ويجعل عدد الأسرى ٦٠٠ أسير(٩٤). وقد يسود هذا القول مبالغة؛ لأن ابن غنام القريب والمعاصر للحدث لم يُشِر إلى ذلك العدد من الأسرى. أما رواية صاحب (كيف كان ظهور شيخ الإسلام)، فذكر أن القوات النجرانية قد أصابت اثنتي عشرة مائة(١٢٠٠) رجل من السعوديين وفي جملتهم ثلاثة إخوة لعبدالعزيز(٩٥). ولم يحدد هل الإصابة تعني مقتلهم جميعًا أم تجمع بين القتلى والجرحى والأسرى، وهو ما يدفع إلى تجاوز الحكم على هذه الرواية لعدم وجود ما يعضدها من الأدلة ومن المصادر المعاصرة.

---

(٩٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥.

(٩٣) ابن بشر، عنوان المجد، ص٩٤.

(٩٤) مؤلف مجهول، لمع الشهاب، ص٤٠.

(٩٥) مؤلف مجهول، كيف كان ظهور شيخ الإسلام، ص٦٤.

والأرجح رواية ابن غنام المعاصر والقريب من الحدث، الذي لم يُشِر إلى مقتل ثلاثة من إخوة عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ولو حدث ذلك لما أغفله ابن غنام، كما أن ابن بشر لم يُشِر إلى هذا من قريب أو بعيد.

أما النتائج الأخرى غير المباشرة التي ترتبت على هزيمة القوات السعودية فيمكن تحديدها بمسألتين رئيستين: فمن جهةٍ تحركت أطماع بعض القوى المجاورة للدرعية داخل نجد، مثل زعيم الرياض دهام بن دواس، وزيد بن زامل زعيم الدلم، وفيصل بن سويط زعيم عربان الظفير، الذين قدموا على زعيم نجران وطالبوه بالتقدم إلى الدرعية وأعطوه الأموال والهدايا، لكنه رفض تلك العروض بعد أن أتم الصلح مع السعوديين(٩٦). ومن جهة ثانية، محاولة بعض القوى المجاورة لنجد ممثلة في زعامة بني خالد، الإفادة من انتصار زعيم نجران لتحقيق مكاسب على حساب السعوديين، حيث تحرك عريعر بن دجين، زعيم بني خالد، بعد حصول عدد من المراسلات بينه وبين زعماء المعارضة في نجد بعد رفض الحسن بن هبة الله المكرمي الوقوف معه، تحرك على رأس قواته ومن انضم إليه من أهالي نجد وحاصروا الدرعية لكنهم لم يستطيعوا اقتحامها وعادوا أدراجهم بعد أن وقع منهم أكثر من خمسين قتيلاً وعدد من الجرحى(٩٧). وهكذا،

---

(٩٦) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٥ – ١٢٦؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩٥.

(٩٧) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٦ – ١٢٧؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩٥ – ٩٦؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠١ – ١٠٢.

ومما سبق يمكن القول إن مساعي القوى المناوئة النجدية والخالدية أخفقت في إقناع زعيم نجران بالبقاء والانضمام إلهم في التقدم إلى الدرعية والقضاء على الدولة والدعوة في مهدها.

العلاقة بين قادة الدرعية وزعيم نجران بعد معركة الحائر:

انقطعت العلاقة بين أمراء الدرعية وزعيم نجران قرابة إحدى عشرة سنة، أي من سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، حتى سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م؛ إذ ليس في المصادر المعاصرة ما يشير إلى حدوث أي علاقة مباشرة أو غير مباشرة سواء كانت بالمراسلة أم صدامات عسكرية أو أي شكل من أشكال العلاقات المختلفة، وربما يعزز هذا ما أُشير إليه سابقًا من أن الخلاف المذهبي لم يكن حاضرًا آنذاك. والأهم انشغال كل منهما عن الآخر، فالدولة السعودية مُنيت بهزة أخرى بعد معركة الحائر تمثلت في وفاة مؤسس الدولة السعودية الأولى الإمام محمد بن سعود في السنة التالية لمعركة الحائر ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م، وتولى ابنه عبدالعزيز بن محمد بن سعود الإمامة خلفًا لوالده، حيث أخذ في علاج المشكلات التي تتابعت على الدرعية ونجح في ذلك، فقد استطاع خلال سنوات قليلة أن يستعيد للدولة هيبتها وقوتها، وتولى زمام المبادرة بالتحرك لنشر الدعوة ومقارعة القوى المناوئة داخل نجد حتى استطاع أن يضم الرياض سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م(٩٨).

---

(٩٨) عن تلك الأحداث والتطورات ينظر ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٢٨ - ١٣٩؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٩٩ - ١٢٠.

وقد كان لسقوط الرياض أثر كبير في المناطق الجنوبية منها، حيث بدأت أنظار قادة الدرعية تتجه صوب تلك المناطق؛ لأسباب كثيرة، منها: نشر الدعوة، وتوسيع رقعة الدولة، والتخلص من الزعماء المناوئين في تلك الجهات وعلى رأسهم زيد بن زامل صاحب الدلم، الذي أصبح في مواجهة مباشرة هو وقادة الدولة السعودية وخاض ضدهم عدة حروب كانت الغلبة فيها لهم(٩٩). ونتيجة للضغط السعودي على زيد بن زامل قرر أخيرًا اللجوء إلى زعيم نجران، الحسن بن هبة الله المكرمي، والاستعانة به وبقواته من يام ضد السعوديين، حيث إن لهم سابق تجربة مع القوات السعودية في موقعة الحائر سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، وإدراكه لقوة ذلك الزعيم وأتباعه من قبائل يام، ومعرفته برغبة زعيم نجران وقبائله وطمعهم في الحصول على الأموال.

لذلك بعث زيد بن زامل الرسائل إلى زعيم نجران سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م، بعد سقوط الرياض، يدعوه للقدوم ومحاربة السعوديين، لكن زعيم نجران لم يجبه إلى ذلك(١٠٠)، ثم كرر زيد المحاولة مرة أخرى في السنة التالية ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، وبذل له مبلغًا من المال، إلا أن زعيم نجران طالبه بالمزيد، وفي النهاية اتفقا على أن يدفع له ٣٠ ألف زر(١٠١)، وهو مبلغ كبير في تلك المدة، وفي مقابل ذلك طلب

---

(٩٩) عن تلك المواجهات ينظر ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٣٨ - ١٣٩؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢١ - ١٢٤.

(١٠٠) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٠.

(١٠١) الزر: عملة من الذهب كان يتعامل بها الناس في تلك المدة.

زيد بن زامل رهائن يبعثهم إليه زعيم نجران حتى يوفي بما وعده به واتفقا عليه، فوافق زعيم نجران وبعث مجموعة من كبار قومه وخاصته لزيد بن زامل(١٠٢).

وفي سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م، تقدم الحسن بن هبة الله المكرمي وقواته من قبائل يام، وانضم إليهم عدد من أهالي الدواسر، ومنهم حويل الودعاني(١٠٣)، كما انضم إليهم مجموعة من زعماء نجد وأهاليها المناوئين للدولة السعودية، وأمدهم بطين بن عريعر الذي خلف أباه على الحكم بكثير من الأموال والطعام(١٠٤).

تقدم زعيم نجران والقوات المحالفة له حتى وصلوا إلى الحائر سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م، وهو المكان الذي دارت فيه معركتهم الأولى ضد السعوديين قبل أحد عشر عامًا من ذلك التاريخ، وحصل بينهم قتال، فقطع صاحب نجران النخيل عليهم، وقد قُتِل من قواته نحو أربعين رجلاً(١٠٥)، ثم ارتحل

---

(١٠٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٠ - ١٢١؛ وقد سرد ابن بشر تلك المعلومات تحت حوادث سنة ١١٨٧هـ، أما ابن غنام فقد جعلها تحت حوادث سنة ١١٨٨هـ، ومن خلال موازنة الروايتين اتضح أن هناك دعوتين إحداهما كانت سنة ١١٨٧هـ، والثانية سنة ١١٨٨هـ، وهو ما أخذت به وهو الأقرب للواقع ولتسلسل الأحداث.

(١٠٣) قال عنه ابن بشر في حوادث سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م: إنه وزيد بن زامل قد بذلوا الأموال للنجراني، انظر عنوان المجد، ص١٢٥.

(١٠٤) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤١ - ١٤٢؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٥، وقد قدّر ابن بشر الأموال التي دفعها بطين بستة آلاف مشخص. والمشخص عملة ذهبية كانت تتداول في تلك المدة.

(١٠٥) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٢؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٦.

بعد ذلك إلى بلدة ضرما(١٠٦)، بعد أن عقد صلحًا مع أهل الحائر(١٠٧).

أما الإمام عبدالعزيز بن محمد فقد أخذ احتياطاته وتحرك عدة تحركات عسكرية هو وابنه سعود، حيث أرسل عددًا من قواته دعمًا لعدد من البلدان، ومنها الرياض، وفي الوقت نفسه بعث ابنه سعودًا إلى بلدة ضرما قبل أن يدخلها النجرانيون، وأغار بعدها على فرق من أهالي الجنوب في العرمة(١٠٨)، ثم رجع سعود بعد ذلك إلى ضرما وأبقى فيها بعض قواته للمرابطة بها ودعم أهلها في حال تقدم القوات النجرانية وحلفائها، وذلك بعد أن حصَّنوا البلدة تحصينًا جيدًا(١٠٩).

وفي الوقت نفسه غادر زعيم نجران الحائر متجهًا إلى ضرما ودخلها، وقَطَعَ بعض نخيلها، ونشبت بينهم حرب شديدة استخدم فيها أهالي ضرما البنادق من بين النخيل والأشجار، فقُتِل من جراء ذلك عدد كبير وجرح كثير من اليامية، فقرر زعيم نجران التراجع عن نجد عائدًا إلى بلاده، وتفرقت الجموع التي كانت معه(١١٠).

---

(١٠٦) يحد ضرما من الشمال البرَّة وجبال طويق، ومن الغرب رمل قُنيفذة، ومن الجنوب المزاحميّات، ومن الشرق جبل طويق. ابن خميس، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، معجم اليمامة، ج٢، ص٩٧.

(١٠٧) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٢.

(١٠٨) عن تسمية العرمة وموقعها وأوديتها، انظر ابن خميس، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، معجم اليمامة، ج ٢، ص١٤٥-١٥٤.

(١٠٩) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٢؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٦.

(١١٠) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٢؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٦؛ وقد ذكر ابن غنام أن الزعيم النجراني قد حُمِل على سرير المرض بعد تلك المعارك، وقال إن وفاته كانت بعد انصرافه من تلك الحرب.

أمدّ الإمام عبدالعزيز البلدان الموالية له بعدد من قواته تحسبًا لأي تحرك من قبل القوات النجرانية بما في ذلك الرياض وضرما، بينما بقي هو نفسه مع القوات الرئيسة في العاصمة الدرعية استعدادًا لأي هجوم مفاجئ من قبل القوات النجرانية، وعلاوة على هذا ربما عقد اتفاقًا مع جهات مناوئة أخرى مثل زعامة بني خالد قد تقوم بهجوم على الدرعية حال مغادرة القوات السعودية لها. وعلى كل حال فمن الواضح أن الأمور سارت وفق ما رتب له الإمام عبدالعزيز، وساعده على ذلك توجه زعيم نجران إلى ضرما، ثم انسحابه منها بعد أن أخفق في تحقيق نصر مؤكد على غرار النصر الذي أحرزه في معركة حائر سبيع المذكورة.

وفيما يتعلق بأسباب تراجع القوات النجرانية دون تحقيق النصر على أتباع الدولة السعودية، فإنها تعود إلى قوة موقف السعوديين وارتفاع معنوياتهم بعد سقوط الرياض(١١١)، علاوة على تراجع الحملة التي شنها زعيم بني خالد، وإخفاقها في تحقيق نصر حاسم على السعوديين سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، وهو ما أثر تأثيرًا حسنًا في أتباع الدولة السعودية(١١٢). وكذلك عدم وجود الثقة بين الأطراف المتحالفة؛ بدليل رفض زعيم نجران الاشتراك في تلك الحرب إلا بعد أن دُفعت له أموال كثيرة في مقابل أخذ زعيم الدلم منه رهائن لضمان

---

(١١١) العثيمين، تاريخ المملكة، ج١، ص١٠٧.

(١١٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٠؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠٧.

تنفيذ الاتفاق المُبرم بينهما(١١٣)، إضافة إلى مرض الزعيم النجراني في أثناء الحرب؛ وهو ما كان له أثر سيّئ في معنويات جنوده(١١٤)، وأيضًا مما ساعد على المواجهة السعودية استخدام أتباع الدرعية للبنادق في القتال بين النخيل والأشجار، ومن داخل الحصون والأبراج التي حصّنوها من قبل، وهو ما أوقع كثيرًا من القتلى والجرحى في صفوف القوات المتحالفة، عند ذلك قرروا التراجع.

وعمومًا، وعلى خلاف معركة الحائر الأولى، فإن هذه المواجهة أدت إلى ازدياد نفوذ الدولة السعودية في الجهة الجنوبية من نجد، كما حَرُجَ موقف زيد بن زامل بعد تراجع القوات التي تحالفه؛ وهو ما اضطره إلى القدوم إلى الدرعية معلنًا طاعته(١١٥)، والأهم أنْ أصبح ذلك بمنزلة الهجوم الأخير لزعماء نجران وقواتها على نجد، فلم يحدث بعد ذلك التاريخ أن هجموا داخل عمق نجد؛ بل إن قادة الدرعية هم من أخذ زمام المبادرة بالهجوم على نجران بعد عدة سنوات من تلك الأحداث.

تتابعت الانتصارات السعودية على القوى المناوئة لها في نجد وازداد نفوذها مع نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ أواخر الثامن عشر الميلادي؛ بل تجاوز ذلك إلى أن أخذ قادة

---

(١١٣) راجع ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٠ - ١٢١؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠٧.

(١١٤) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٠؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠٧.

(١١٥) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٤٤؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٧.

الدرعية زمام المبادرة بالهجوم على الأحساء سنة ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م(١١٦)، وفي الوقت نفسه كثَّف السعوديون هجماتهم على المناطق الجنوبية من نجد (الخرج والدلم) وما جاورها حتى وصلوا وادي الدواسر سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، واستطاعوا ضم تلك المناطق لطاعتهم(١١٧)، وكل هذا التطور السريع يؤكد أن ميزان القوى أصبح يميل لمصلحتهم.

كان من نتائج التوسع السعودي جنوبًا ووصولهم إلى وادي الدواسر أن انقسم أهل الوادي إلى قسمين : قسم دخل في الطاعة مثل المخاريم وعلى رأسهم ربيّع بن زيد الدوسري، والقسم الآخر رفضوا الانضمام والدخول في الطاعة على الرغم من الجهود التي بذلها ربيّع في إقناعهم، ومن أولئك الرجبان والوداعين، الذين اجتمع رأيهم نتيجة الضغط عليهم من قبل أتباع الدولة السعودية أن يتجهوا إلى زعيم نجران للوقوف معهم في وجه السعوديين، فذهب منهم جماهر وهو كبير الرجبان، وحويل وهو كبير الوداعين(١١٨)، وطلبوا منه التقدم معهم وخوفوه من نتائج التوسع السعودي(١١٩).

---

(١١٦) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٥٩؛ والوهبي، بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ص٣٠٧.

(١١٧) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٥٨ - ١٦٦؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٢٧ - ١٦٣.

(١١٨) سبقت الإشارة إلى مشاركة حويل مع زيد بن زامل في دفع الأموال للزعيم النجراني في حربه التي خاضها ضد السعوديين سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م.

(١١٩) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٦٨؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٦٣ - ١٦٥.

وافق زعيم نجران على طلبهم، ولم تشر المصادر إلى دفعهم مبالغ مالية أو أية شروط بين الطرفين، وتقدم بقواته حتى نزل على الرجبان والوداعين، كما انضم إليه مجموعة من المعارضين، فسار بهم حتى نزل على الحنابجة، وهم ممن دخل في الطاعة، ووقع قتال شديد بين الطرفين، ولم يستطع الزعيم النجراني ومن معه التغلب على أتباع الدولة السعودية، وعاد أدراجه إلى وطنه، وتفرق أتباعه، وكان ذلك سببًا في قدوم الرجبان والوداعين على ربيّع بن زيد وإعلان دخولهم في الطاعة(١٢٠). ويُعد ذلك التحرك هو الأخير صوب نجد، ومن الملحوظ أن ذلك التحرك كان على أطراف نجد الجنوبية البعيدة عن المركز والعمق النجدي.

تتابعت الانتصارات السعودية مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر الثامن عشر ومطلع التاسع عشر الميلاديين، حيث استكملت توحيد نجد وشمال الجزيرة العربية، كما ضمت الأحساء بعد حروب طويلة ضد زعماء بني خالد، وامتد نفوذها على شرق الجزيرة والخليج العربي، كما كبدت أشراف الحجاز عدة هزائم متوالية ابتداءً من معركتي السر والشعراء سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، ثم الجمّانية سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م(١٢١). وقد أدت هذه الانتصارات والتوسعات إلى رفع هيبة الدولة في مختلف مناطق الجزيرة العربية؛ بل اتسع

---

(١٢٠) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٦٨؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٦٥.

(١٢١) لمزيد من المعلومات عن التوسع السعودي في تلك المناطق، انظر ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٧١ - ١٩٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص١٦٧ - ٢١٤؛ والعثيمين، تاريخ المملكة، ص١٠٩ - ١٥٠.

نفوذها غربًا وجنوبًا باتجاه الحجاز وعسير. وهذا يعني أنها الآن أصبحت في موقف قوي يخولها أن تقوم بأخذ زمام المبادرة والهجوم على إقليم نجران بعد أن أصبح ميزان القوة يميل إلى مصلحتها، من أجل نشر الدعوة الإصلاحية في تلك الجهات، ومد سيطرة الدولة وتوسيعها، علاوة على الانتقام من قادة نجران، نتيجة هجماتهم السابقة على الدولة السعودية.

وبالفعل ففي سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م شنت القوات السعودية بقيادة مبارك بن هادي بن قرملة هجومًا خاطفًا على بوادي نجران، حيث هاجمت مجموعة من عربان تلك الجهات يسمّون آل هندي(١٢٢). فهزموهم وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً واستولوا على ما معهم من أموال وأغنام وإبل(١٢٣)، وحسب رواية ابن بشر فإنهم استاقوا أربعة عشر فرسًا وعزلوا الأخماس وبعثوا بها للدرعية(١٢٤).

ومما يلحظ في هذا الصدد، أن ذلك التحرك هو الأول الذي يقوم به قادة الدرعية صوب نجران، أي أنه جاء بعد اثنين وثلاثين عامًا على معركة الحائر، كما أن قادة نجران وأهاليها لم يقوموا بأي رد فعل تجاه ذلك الهجوم. وربما يعود ذلك إلى إدراكهم قوة الدولة السعودية وخطورة التقدم إلى نجد، أو أن موقف قادة نجران كان ضعيفًا في تلك المدة.

---

(١٢٢) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٩٠.

(١٢٣) ابن غنام، تاريخ نجد، ص١٩٠؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٢١٤.

(١٢٤) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢١٤.

وفي سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، أشار جحّاف في رواية فريدة عن تحركات ربيّع بن زيد الدوسري في جهات وادعة(١٢٥)، وقال إنه بعد إقراره للأمور في تلك الجهات، بعث رسلاً إلى نجران(١٢٦). ولم يذكر تفصيلات أخرى في مهمة تلك الرسل والنتيجة التي توصلوا إليها. ومن الواضح إذا صحت هذه الرواية التي تفرد بها جحّاف أن الهدف كان نشر الدعوة الإصلاحية بين قبائل نجران ودعوتهم للدخول في طاعة الدولة السعودية. ومن الجدير بذكره أن نفوذ الدولة السعودية وصل في تلك السنة إلى بلاد عسير.

على أن الأمر لم يقف عند ذلك فقد ذكر جحّاف في موضع آخر تحت حوادث تلك السنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، أن الإمام عبدالعزيز بعث بنحو اثني عشر ألف مقاتل إلى قبائل يام في نجران، وذكر أن الأخبار وصلت يام فسار منهم ثلاثة آلاف إلى نهقة(١٢٧)، وجاء طريق القوات النجدية مخالفاً لهم، فلم تشعر يام إلا والأخبار تصلهم بأن المكرمي محاصر في

---

(١٢٥) وادعة: قبيلة كبيرة تنحدر من قبيلة حاشد ثم من همدان الكبرى، وهي بطون وأفخاذ كثيرة ومنتشرة في كثير من الأصقاع، منهم من يسكن في جهات صنعاء، وصعدة، وعمران. المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج٢، ص١٨٤٣ - ١٨٤٥؛ وهناك وادعة التي تقطن جهات ظهران الجنوب وما جاورها وتدخل ضمن حدود المملكة العربية السعودية الآن.

(١٢٦) جحّاف، درر نحور الحور، ص٤٧٧.

(١٢٧) ووردت باسم نهوقة، من قرى آل عابس من يام، وفيها مركز من مراكز إمارة نجران. الجاسر، حمد: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، القسم الثالث، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض، (د. ت)، ص١٤٨٤.

بدر(١٢٨)، فساروا تجاه بدر فتنحى عنهم النجديون وتابعتهم القوات اليامية حتى تصافّوا قرب نهقة، وكانت كفة القوات النجدية الراجحة، لكن وصول مدد من يام رجَّح كفتهم وهزمت القوات النجدية، وغنم النجرانيون أكثر من أربعمئة ذلول وكثيرًا من الأموال(١٢٩).

وبالوقوف على تفرد لطف الله جحّاف بهذه الرواية عن سواه من المصادر المعاصرة، وخاصة في المبالغة الواضحة في تقديره لأعداد القوات السعودية التي قدرها باثني عشر ألفًا مقابل ثلاثة آلاف ومع ذلك تدور الدائرة عليهم، فهل يمكن أن تغفل المصادر النجدية تسيير الإمام عبدالعزيز لجيش بهذا العدد إلى نجران؛ إنّ هذا ليشكك في مصداقية هذه الرواية.

ومن الجدير بذكره أن هذه الروايات لم تكن الوحيدة التي تفرد بها لطف الله جحّاف عن غيره من المصادر، ومن تلك الروايات التي أوردها جحّاف بعد انقطاع بين الروايتين عن حوادث نجران خمس سنوات؛ ما ذكره تحت حوادث سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، بقوله: "وفيها أن النعمان(١٣٠) بن الوليد

---

(١٢٨) بدر - ويعرف ببدر الجنوب، بلد قديم يعرف قديمًا بمخلاف يام، ويُعد من أهم بلدان نجران، ويقع غرب بلاد يام في أعلى وادي صيحان حبونا، ويسكنه أخلاط من قبائل نجران. الملحم، فراج بن شافي: رحلة في بلاد يام، مجلة العرب، ج١١ - ١٢، س٢٢، جماديان ١٤٠٨هـ/ يناير فبراير ١٩٨٨م، ص٨١٤.

(١٢٩) جحّاف، درر نحور الحور، ص٤٧٨.

(١٣٠) ذكر المحقق أنه ورد في النسخة المخطوطة المقابلة للنسخة التي اعتمد عليها في التحقيق أن اسمه النعمي لا النعمان، انظر تعليقاته على كتاب لطف الله جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٢٥.

توجه من حضرة سعود بن عبدالعزيز إلى نجران فحط على المكرمي ببدر، فبعث المكرمي إلى الوادي(١٣١) مستغيرًا، فجاءته الغارة وتصافّوا للحرب، فانكسر جمع النعمان وولّى مدبرًا، بعد أن أخذت يام أكثر أمتعتهم وأسلحتهم، وكانوا قد بعثوا إلى من بنجران وتهامة من يام، وكانوا قد تأهبوا للمسير فجاءهم الخبر بالنصر، وكرّت جموع أخرى على نجران(١٣٢)، وتملكلوا ببدر محلاً، وعمروا به دربًا عظيمًا، وعاهدوا الله أن لا يخرجوا منه حتى تذعن تلك الجموع من نجران للدخول في الدين، وما زالوا به حتى كانت الفتنة بينهم وبين أهل نجران في العام الآتي"(١٣٣).

وبعد إمعان النظر في هذه الرواية وتفردها فإنها لا تختلف عن الرواية السابقة من حيث تقدم القوات السعودية إلى نجران وهزيمتهم أمام القوات النجرانية، عدا بعض الاختلافات في الأسماء والأحداث، وهذا يشير إلى تحامل المؤلف على الدولة السعودية والدعوة الإصلاحية، وكذلك لم يرد في جميع المصادر المعاصرة سواء النجدية أم الحجازية أم مصادر المخلاف السليماني واليمن، قائد من قادة الدولة السعودية اسمه النعمان بن الوليد أو حتى النعمي بن الوليد، كما ذكر المحقق في تعليقه على الاسم، علاوة على ذلك ركاكة هذه الرواية وتداخل الأحداث التي وردت فيها مع غيرها من الروايات الأخرى، فعلى سبيل المثال ذكر جحّاف في حوادث

---

(١٣١) يقصد وادي نجران.

(١٣٢) يقصد من أتباع الدولة السعودية.

(١٣٣) جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٢٥.

سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م: "أنه في شهر ربيع الآخر وصل الأمير بُسر بن أرطأة(١٣٤) وأمير آخر من عبدالوهاب أبي نقطة في جماعة عن أمر صاحب نجد إلى بدر وأطراف نجران، وطلبوا من أولئك أن يدخلوا في الدين فدعوهم أربعة أيام، ثم كانت الحرب ودارت الدائرة على بُسر، وأحصي القتلى من الموهبة(١٣٥)، فكانوا ستمائة أو يزيدون، وأخذوا عليهم سلاحًا ومتاعًا ومالاً وخيلاً وإبلاً"(١٣٦).

والمتأمل في هذه الرواية يدرك أنها لا تختلف عن سابقاتها، إلا باختلاف يسير في الأسماء والأحداث، فمثلاً هناك النعمان وهنا بُسر بن أرطأة، من جهة، ومن حيث الأحداث فالقوات السعودية هُزمت وحصل النجرانيون على كثير من الأموال والإبل والجمال، من جهة أخرى. وهذا يؤكد ضعف هذه الروايات وعدم دقتها ومصداقيتها. ولعل استخدامه هنا لاسم بُسر بن أرطأة من باب الموارة والتشبيه بالفتك وقتل النساء والأطفال، كما ورد في إحدى الروايات

---

(١٣٤) هو بُسر بن أرطأة العامري القرشي، قائد فتاك من الجبارين. ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيرًا، وكان من رجال معاوية بن أبي سفيان، شارك في عدة معارك في مصر والحجاز واليمن، كما ولي البصرة سنة ٤١ هـ، بعد مقتل علي بن أبي طالب وصلح الحسن بن علي، ثم ولّاه معاوية البحر فغزا الروم سنة ٥٠ هـ، مات في دمشق وقيل في المدينة عن نحو تسعين عامًا. انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٢م، ص٥١.

(١٣٥) الموهبة: يقصد أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، وهذا اللقب مع غيره من الألقاب مثل الوهابية يُطلقها خصوم تلك الدعوة.

(١٣٦) جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٤٨.

التي تشير إلى أن بُسرًا قام بتلك الأعمال الفظيعة في اليمن(١٣٧). خاصة أنه لم يثبت في المصادر المعاصرة أن هناك من يحمل هذا الاسم من القادة السعوديين.

ثم قال في موضع آخر تحت حوادث تلك السنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، في معرض حديثه عن تغلغل (الموهبة) في بلاد تهامة وصعدة ما نصه: "ووصل خبر بأن أهل نجران أرسلوا إلى من بصعفان(١٣٨)، أن الغارة الغارة، فسار منهم ستون نفرًا وقصدوا قاع تهامة مظهرين أنهم قاصدون لحمود(١٣٩)، فلاقاهم جماعة من أصحاب أبي نقطة، فبلغنا أنهم قتلوهم عن آخرهم، واشتد الحصار على من بنجران من الموهبة المتتابعة بعد بُسر بن أرطأة وقومه، وأنه بلغ القدح الطعام بنجران خمسة عشر قرشًا حجرًا، حتى قيل لنا إنها مالت طوائف من نجران إلى الدخول في معاهدة سعود، غير أنهم رأوا ما المراد أن دينوا، وإذا هم يطلبونهم الحلقة من البنادق والسيوف والدروع فانثنوا بشدة وعادوا للقتال آخرًا"(١٤٠).

وهذه الرواية كغيرها، من حيث تفرد جحّاف بها فهو يتحدث عن مجموعة قتلتهم قوات أمير عسير عبدالوهاب بن عامر المتحمي، وفجأة ينقل الحديث إلى حصار نجران من

---

(١٣٧) الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٥١.

(١٣٨) صعفان: جبل مشهور بالقرب من مناخة من بلاد حراز في غربي صنعاء، يرتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر، وهو جبل غني بالزروع. انظر المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، ص٩١٠.

(١٣٩) يقصد الشريف حمود بن محمد آل خيرات (أبو مسمار) .

(١٤٠) جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٥٢.

قبل قوات جديدة خلفًا لما أسماه سابقًا بقوات بُسر بن أرطأة. ولعل الأرجح أنه سمع أكثر من رواية على مُدَد مختلفة ودونها، ولكن عدم التثبت وتحري الدقة في معلوماته أوقعه في هذه الأخطاء.

أما الرواية التي تواترت في المصادر الأخرى المعاصرة على الرغم من الاختلاف في تفصيلاتها وتاريخ وقوعها، فهي الحملة التي قام بها الأمير عبدالوهاب بن عامر المتحمي أمير عسير بأمر الإمام سعود بن عبدالعزيز على نجران. فقد ذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، أن الإمام سعود بن عبدالعزيز أمر عبدالوهاب بن عامر، ورعاياه من عسير وألمع وسنحان ووادعة، وفهّاد ابن شكبان ورعاياه من بيشة وغيرها، وأهل وادي الدواسر ومن تبعهم في نحو ثلاثين ألف مقاتل بالتوجه إلى نجران، فسار بهم الأمير عبدالوهاب ونزل ببدر ووقعت بينهم معارك قتل فيها كثير من قوم الأمير عبدالوهاب ومن أهل الدواسر، وممن قتل منهم أمير الوداعين إبراهيم بن مبارك بن عبدالهادي، وإدريس بن حويل وغيرهم، ثم أمر عبدالوهاب قواته ببناء قصر في بدر لحصار أهلها والتضييق عليهم، ووضع فيه كل ما يحتاج إليه المرابطون فيه، ثم رجع الجميع إلى أوطانهم(١٤١).

ويتضح من هذه الرواية، أنه حدد تاريخ تلك الواقعة بسنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، كما أن ابن بشر بالغ في أعداد القوات

---

(١٤١) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٨٩ - ٢٩٠.

السعودية حيث قدّرها بثلاثين ألفًا، ثم إذا صح هذا العدد، فهل يُعقل لجيش بمثل هذا العدد ألا تكون له كلمة فاصلة مع قوات يام وأعدادها القليلة، بحيث ينسحب ويُقتل من أفراده كثير حسب الروايات؛ بل إن المصادر تشير إلى وجود مقاومة عنيفة من قبل القوات اليامية؛ بدليل مقتل كثير من القوات السعودية، ولجوئهم إلى بناء قصر لحصار أهالي بدر والتضييق عليهم(١٤٢).

أما رواية المؤرخ عبدالرحمن البهكلي، فتختلف قليلاً عن رواية ابن بشر، فقد جعل ذلك الهجوم تحت حوادث سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وذكر أن صالح بن يحيى العُلفي(١٤٣) كتب للأمير عبدالوهاب يطلب منه المدد ضد الشريف حمود، فصادف ذلك أن عبدالوهاب في نجران ومعه قوات كثيرة كان يعتقد أنه يأخذ نجران بأقل منها، لكنه لقي مقاومة شديدة، وأقام بعرصة نجران نحو شهر، وعمر بها قلعة عظيمة، وأدخل إليها الماء، واحتفر هناك حفائر داخل القلعة، وجمع لها من رتبه وخواص قومه، وأمّر عليهم يحيى بن ناشع(١٤٤)، وجمع

---

(١٤٢) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٩٠؛ والبهكلي، نفح العود، ص ٢٣٧، ٢٤١.

(١٤٣) صالح بن يحيى العُلفي: صاحب بيت الفقيه، دخل تحت طاعة الدولة السعودية الأولى بعد أن أقنعه الشريف غالب بن مساعد بذلك، عن طريق تبعيته لأمير عسير عبدالوهاب المتحمي، لكن الشريف حمودًا لم يدعه وشأنه. عن تلك الحوادث راجع، البهكلي، نفح العود، ص٢٣٣ - ٢٣٥؛ وجحّاف، درر نحور الحور، ص٦٤٠ - ٦٤٢.

(١٤٤) يحيى بن ناشع: قال عنه البهكلي: إنه أحد قواد قوم عبدالوهاب وفقهائهم، وأهل الرأي فيهم. البهكلي، نفح العود، ص٢٤١.

لهم من الزاد ما يكفيهم ستة أشهر ثم انصرف راجعًا، فتتبعه رجال يام في الساقة في يوم شدة وقتلوا في قومه قتلاً ذريعًا، وأسروا صناديد منهم، ولذلك لم يستطع عبدالوهاب دعم صالح العُلفي(١٤٥).

لقد جعل البهكلي ذلك الهجوم تحت حوادث سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، ومن الملحوظ أن هناك ارتباكًا واضحًا في رواية البهكلي، فهو يذكر أن عبدالوهاب أقام بعرصة نجران نحو شهر وابتنى بها قلعة عظيمة، ثم يقول: إنه تراجع وتتبعته يام وفتكت بقواته فتكًا ذريعًا، فهل من المعقول أن يقيم في نجران نحو شهر ثم تفتك بقواته يام في أثناء عودته، في الوقت الذي يقبع فيه أهالي بدر ومن معهم تحت حصار القوات السعودية. والمرجح أن حوادث القتل تلك وقعت في أثناء استسلام الحامية السعودية بعد عدة أشهر من الحصار المفروض على بدر، أو ربما كان ذلك في إحدى المواجهات التي حصلت بين الطرفين في أثناء وجودهم في نجران، وقد فصّل جحّاف في تلك المواجهات كثيرًا(١٤٦).

أما رواية جحّاف لهذه الحملة فتختلف عن سابقاتها من حيث تاريخ وقوعها، وكثير من تفصيلاتها وأحداثها؛ لكنها في مجملها لا تختلف عن أحداث رواية الحملة التي أوردها ابن بشر والبهكلي. وتتلخص الرواية، كما أوردها جحّاف تحت حوادث سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، في أنه في هذا العام

---

(١٤٥) المرجع السابق، ص٢٣٧، ٢٤١.

(١٤٦) للاستزادة يُرجع إلى جحّاف، درر نحور الحور، ص٧٣١ - ٧٣٥.

أغارت (الموهبة) على نجران في خلق كثير ونزلوا بدرًا، فتقدم من اليامية ١٥٠٠ مقاتل وسألوا المكرمي عن قدومهم، فقال: الطالع يحكم بأن لا يظهر منكم حرب حتى تبلغ رجالهم حمى السور، قال فلما وصلوا السور خرجوا عليهم، فوقعت الهزيمة على أهل سنحان، فبلغ ذلك الخبر سعود، فجهز عليهم قبائله من شمر إلى الأحساء إلى شهران إلى عسير وألمع إلى جميع الحجاز والدواسر، ونفذ عليهم الأمر وألزمهم المسير على رأي عبدالوهاب، فسار بهم ونزلوا على بدر آخر شهر جمادى الآخرة، فداروا على بدر من جميع جهاتها، وقيل: إن جملتهم مئة ألف. وبعد ذلك تحدث جحّاف عن تفصيلات المعارك والمواجهات التي حصلت بينهم، حيث كانت الحرب سجالاً بين الطرفين، ومع طول الحرب أمر عبدالوهاب ببناء درب (قصر أو قلعة) في الحمضة أمام قصر من أسماهم آل هضبان، فأشاده وبنى له محارس ومتارس ونصب به مدفعين عظيمين، ثم أمر أن يرتبوه بخمسمئة منهم وأن يجعلوا فيه الكفاية التامة من السلاح والزاد، ومما ذكره جحّاف أن القوات النجرانية كانت تستخدم السحر فلا يصل إليهم الرصاص، وذكر أن الحرب قد اشتدت تلك الأيام وألحقت يام بالقوات السعودية خسائر كبيرة في الأرواح، كما أسروا منهم عددًا كبيرًا، ثم تحدث عن استمرار القوات اليامية في حصار القوات السعودية الموجودة في القصر حتى جاء سيل عظيم ودخله، فاجتحف أكثر الزاد والسلاح، وانتشر المرض بين القوات المرابطة به فمات منهم كثير؛ عند ذلك طلبوا الأمان على أن يكون خروجهم في وجه

القاضي يوسف بن علي المكرمي، فوافق اليامية على ذلك، ولما خرج من في القصر لم يزد عددهم عن المئة وكانوا خمسمئة، فأكرمهم اليامية يومين، وبعث القاضي برسالة إلى سعود يقول فيها : "وأما الدرب فكما قال تعالى: **﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾**"(١٤٧). وقبل مغادرة تلك الجماعة نجران قدم القاضي الكسوة لأميرهم يحيى بن ناشع، وذكر جحّاف أن أكثرهم ماتوا في الطريق، وأشار إلى أن القاضي المكرمي حصل على كثير من السلاح والأموال، وأنهم هدموا القصر(١٤٨).

ويمكن القول في هذه الرواية: إن جحّافًا وضعها تحت حوادث سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، كعادته وعدم دقته في إيراد تواريخ كثير من الأحداث التي تطرق إليها في كتابه، وكذلك فإن المصادر القريبة من الحدث، مثل البهكلي أشارت إلى أنها وقعت قبل ذلك التاريخ. وعلى الرغم من أن رواية جحّاف فيها تفصيلات جيدة وكثيرة؛ فإنها مشوَّشة وفيها كثير من التداخلات وعدم الدقة، فمثلاً لم يخبرنا عن مصير جيش عبدالوهاب ولا كيف انسحب من نجران، وأيضًا تتسم بالمبالغة الواضحة في ذكر أعداد القوات السعودية، حيث قدرهم بمئة ألف، كما أنه لم يَثْبُت أن هناك قوات من شمر والأحساء والحجاز شاركت في حرب نجران، وهذا يزيد من تشويش تلك الرواية. ومن الطريف أن جحّافًا ذكر أن اليامية

---

(١٤٧) سورة يوسف، الآية ٤١.

(١٤٨) بتصرف من جحّاف، درر نحور الحور، ص٧٣١ - ٧٣٢.

كانوا يستخدمون السحر والشعوذة في الحرب، وقد تفرد بهذه الرواية عن غيره من المصادر، ومع ذلك لا يُستبعد أن يكون كلامه صحيحًا، لما عُرف عند بعض الناس من استخدامه نتيجة الجهل.

وهناك رواية أخرى للحادثة نفسها جديرة بالإثبات وهي رواية سيد الماحي، التي نقلها من إحدى المخطوطات القديمة في مدينة نجران، وهي كما ذكر - مخطوطة بلا عنوان - وقد حدث خرم كبير في أجزائها، وذكر أنها موجودة ضمن مكتبة الشيخ علي بن حسين المكرمي، الذي وصفه بالاطلاع على كثير من المصادر التاريخية، وذكر أنه على علم ودراية بتفصيلات تاريخ نجران خاصة، وتاريخ الجزيرة العربية عامة(١٤٩).

أما الرواية فتقول: "إنه كان هناك في عام ١٢٢٢هـ، حاكم لبلاد عسير يُسمى (أبا نقطة)، غزا نجران، فاحتل (بدر الجنوب) وبنى له فيها قصرًا فخمًا يسمى (الثغر) وذلك في قرية (الحمضة) المجاورة (لبدر الجنوب)، وكان الحاكم الموجود في بدر الجنوب حينذاك هو: عبدالله بن علي هبة المكرمي، وكان كبير السن وله أخ اسمه يوسف يقوم بأعماله، ويقال إن الياميين أبوا على أنفسهم هذه النكاية، فجهزوا أنفسهم بالجنود والعتاد وزحفوا على (بدر الجنوب) فقاتلوا جنود (أبي نقطة) حتى أبادوهم في خمسة عشر يومًا تقريبًا، وفر منهم من بقي إلى بلاد عسير حيث يقيم (أبونقطة)

---

(١٤٩) الماحي، نجران الأرض والناس والتاريخ، ص٢٦.

وحتى الآن يوجد في (بدر الجنوب) وهي في شمال نجران آثار رسم لقصر أبي نقطة المسمى بالثغر"(١٥٠).

وهذه الرواية أيضًا كسابقاتها تحتاج إلى الوقوف عندها، فقد حدد صاحب المخطوط تاريخ تلك الحملة بسنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وهذا يختلف عن جميع المصادر السابقة، كما قال: إن أول عمل قام به عبدالوهاب هو احتلال بدر، وإنه ابتنى له بها قصرًا، وهذا لا يتوافق وسير الأحداث الواردة في المصادر المعاصرة؛ فمن غير المتوقع أن يقف اليامية مكتوفي الأيدي حتى يحتل بدرًا ويبتني بها قصرًا. وأيضًا ذكر أن اليامية أبادوا قوات الأمير عبدالوهاب في نحو خمسة عشر يومًا، وهذه تحتاج إلى إعادة نظر، فالكاتب ينتسب إلى اليامية أو المكارمة، وربما أصابه التحيز؛ وما ذكره يخالف ما أشارت إليه المصادر السابقة جميعًا، التي أشارت إلى أن القوات السعودية بالفعل لقيت مقاومة عنيفة وأنه مع طول الحرب اضطر الأمير لبناء القصر ومغادرة نجران.

وفيما يتعلق بالاختلاف في سنوات الحملة وموضوعها ونتائجها فيمكن توضيح ثلاثة جوانب رئيسة:

فأما الاختلاف في تاريخ تلك الحملة من جهة أولى، فقد جعلها ابن بشر سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، وحددها البهكلي بسنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، والماحي نقلاً عن المخطوط المجهول بسنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وجحّاف بسنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

---

(١٥٠) المرجع نفسه، ص٢٦ - ٢٧.

وبناء على استعراض الروايات السابقة وموازنة الأحداث بعضها ببعض فمن المرجح أن تلك الحملة كانت سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، اعتمادًا على ما ذكره البهكلي، وذلك لمعاصرته ولقربه من أحداث المخلاف السليماني ونجران واليمن، التي استوجبت من صالح بن يحيى العُلفي الاستنجاد بالأمير عبدالوهاب المتحمي للوقوف معه في وجه الشريف حمود (أبو مسمار) أمير المخلاف السليماني. وأيضًا ربط البهكلي تلك الحادثة باستنجاد صالح العُلفي بالأمير عبدالوهاب سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م، وتأكيد جحّاف أن صالحًا استنجد بالأمير عبدالوهاب في تلك السنة(١٥١)، وتأكيدهما أن عبدالوهاب لم يستطع إنجاد صالح العُلفي. ومن غير المحتمل أن يتأخر الأمير عبدالوهاب عن دعمه ضد الشريف حمود لو كانت الفرصة متاحة له في ذلك الوقت. والأهم ما ذكره ابن بشر نفسه من انشغال عبدالوهاب في تلك السنة (١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) بأمر الحجاز ودخوله الحجاز في تلك السنة حسب أوامر الإمام سعود، وبناءً على ذلك فمن المرجح أن دخول صالح العُلفي في الطاعة لم يكن سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م. كما ذكر ابن بشر أيضًا. إذ إن الأرجح رواية البهكلي التي تشير إلى أن دخول صالح العُلفي بعد إقناع الشريف غالب بن مساعد إياه كان في مطلع سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م(١٥٢).

---

(١٥١) جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٤٠ – ٦٤١.

(١٥٢) وازنْ ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٩٠؛ و البهكلي، نفح العود، ص٢٣٣ – ٢٣٤.

وأما فيما يتعلق بحرب نجران وأحداثها من جهة ثانية، فيمكن القول بعدم وجود مصدر محايد ودقيق يتحدث عن تفصيلات تلك المعارك وأحداثها، وهو ما أوجد تلك الاختلافات بين المصادر. ومن الملحوظ مبالغة المصادر الموجودة وعدم دقتها في سرد أحداث تلك الحرب ووقائعها، فهناك مصادر تبالغ في عدد القوات السعودية، ومصادر تبالغ في إبادة تلك القوات على يد القوات النجرانية، وكلاهما غير دقيق، وما يمكن قوله في ذلك هو أن القوات السعودية لقيت مقاومة عنيفة فعلاً من القوات النجرانية، لكنها لم تكن بتلك الصورة المبالغ فيها؛ بدليل أنه بعد تراجع القوات الرئيسة مع الأمير عبدالوهاب استبقى حامية لحصار بدر الجنوب، فهل يُعقل أن يُباد جيش وفي الوقت نفسه يستبقي حامية لحصار البلد المنتصر. وفيما يخص تراجع الأمير عبدالوهاب والقوات المرافقة له، فقد كان ذلك بناءً على طلب الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي أمرهم بالتوجه إلى الحجاز(١٥٣)، وبذلك لم يستطع عبدالوهاب دعم صالح العُلفي صاحب بيت الفقيه ضد الشريف حمود، واكتفى ببعث وفد من قبله للنظر في أمرهما ريثما ينجلي أمر الحجاز ونجران(١٥٤). وبذلك اضطر لاستبقاء حامية في قصر نجران وتوجه إلى الحجاز.

وفيما يتعلق بنتيجة الهجوم السعودي على نجران من جهة أخيرة، فيمكن إيجازها بعدم استطاعة القوات السعودية

---

(١٥٣) ابن بشر، عنوان المجد، ص٢٩١.

(١٥٤) البهكلي، نفح العود، ص٢٤٢.

دخول نجران لشدة المقاومة النجرانية وعدم تقبل أهلها لمبدأ الدخول في الدعوة ومن ثَمَّ الانضواء تحت نفوذ الدولة السعودية في ذلك الوقت، إضافة إلى فقدان القوات السعودية عددًا كبيرًا من قواتها نتيجة تلك الحرب، وإخفاق الحصار السعودي المضروب على نجران، نتيجة عدم الدعم المتواصل من قِبل القيادة السعودية، ومن الأمير عبدالوهاب المتحمي خاصةً.

وفي هذا السياق أشار جحّاف إلى أنه وقع خلاف كبير بين قائد القوات السعودية المحاصِرة لنجران، يحيى بن ناشع بعد عودته من نجران وعبدالوهاب المتحمي؛ بسبب ما يعتقد يحيى بن ناشع أنه تخلٍّ من قبل الأمير عبدالوهاب(١٥٥). والواقع أن انشغال الأمير عبدالوهاب بأمر الحجاز وصالح العُلفي والشريف حمود كان هو السبب وراء عدم دعمه للقوات السعودية في نجران.

استأنف اليامية نشاطهم الحربي بعد حملة الأمير عبدالوهاب المتحمي المذكورة سابقًا، فقد هجموا سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، بقيادة عبدالله بن علي المكرمي على تهامة وعاثوا فيها فسادًا، وهذا دفع الشريف حمود أبو مسمار أمير المخلاف السليماني، لتجهيز قواته لمواجهة القوات اليامية، ودارت بينهم معارك طاحنة انتهت بإجراء صلح بين الطرفين بعد أن فقد منهم كثيرون(١٥٦). ويبدو أن هدف

---

(١٥٥) جحّاف، درر نحور الحور، ص٦٨٨ - ٦٨٩.

(١٥٦) البهكلي، نفح العود، ص٢٦٤ - ٢٦٩؛ والماحي، نجران الأرض والناس والتاريخ، ص٢٧.

ذلك الهجوم الحصول على الأموال والأسلحة من تهامة بعد الحصار الذي أصابهم جراء الهجوم السعودي السابق.

ومن التطورات الحاصلة في نجران، ما أورده جحّاف تحت حوادث سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، بقوله: "وفي تلك السنة أو التي قبلها كاتب الشيخ سالم بن حسين، كبير من كبراء يام، سعود بن عبدالعزيز ومال إليه وعاهده"(١٥٧).

ثم تحدث عن نتيجة ذلك الاتصال فذكر أنه سار إلى سالم بن حسين أربعة من كبراء يام، وطلبوا منه التخلي عن تبعية السعوديين، فرفض إلاّ الطاعة للإمام سعود على الرغم من محاولاتهم إقناعه بالعدول عن رأيه. وكان قد أخذ للأمر عدته، إذ كان يملك في وادي نجران قصرًا منيعًا، وبه بئر ماء عذب، فأخذ في تعبئته بما يحتاج إليه من المال والسلاح والزاد تحسبًا لما قد يقع من ردود فعل من اليامية والمكارمة، وكاتب الإمام سعودًا وطالبه بإرسال قوات لدعمه، فأجابه الإمام سعود وسيّر له الجنود حتى وصلوا نجران، ويذكر جحّاف أنه بعد وصولهم أخبر عبدالله المكرمي اليامية بمقتضى الطالع والسحر أن تلك القوات سوف تهزم بعد ثلاثة أيام، قال: ثم وقعت عدة معارك هُزمت فيها القوات السعودية وتراجعوا، وبعدها تقدم النجرانيون لحصن سالم بن حسين وحاصروه ثلاثة أشهر حتى سقط في أيديهم بعد خروج بعض القوات السعودية التي كانت مرابطة فيه مع سالم، وبعد دخول القوات النجرانية القصر لم يجدوا به

---

(١٥٧) جحّاف، درر نحور الحور، ص٧٣٠.

سوى سالم بن حسين وابنه، فأخذوهما إلى خيمة يوسف بن علي المكرمي، فاستجارا به فأجارهما، واستولى النجرانيون على ما في القصر ثم هدموه(١٥٨).

ومرة أخرى يمكن الإشارة إلى عدم دقة جحّاف في إيراد التواريخ، فها هو ذا يُدرج هذه الواقعة تحت حوادث سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، ويقول: إنها وقعت في هذه السنة أو في التي قبلها أي سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، ثم يأتي في آخر الرواية ويقول إن بعض الرواة جعلوها في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م. ومع هذا، ومع ما في هذه الرواية من عدم وضوح في تفصيلات الأحداث واختلاف في تاريخ حدوثها، وتفرد جحّاف بها عن غيره من المصادر، فإنها من الأهمية بمكان؛ إذ إنها تلقي الضوء على انضمام بعض أهالي نجران للدولة السعودية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، كما أنها تؤكد ما أوردته مصادر أخرى من وجود مراسلات ومكاتبات بين أئمة الدولة السعودية وزعماء نجران وقادتها وأهاليها في تلك الحقبة.

ومن الجدير بذكره أن علاقة أئمة الدولة السعودية بزعماء نجران وقادتها قد اتخذت منحىً آخر تمثل في تبادل الرسائل بين الطرفين لتوضيح وجهات النظر ونشر الدعوة من قبل أئمة الدولة السعودية، ومن المؤكد أن مثل تلك المراسلات كان لها أثر مهم في انضواء عدد من أهالي نجران تحت طاعة الدولة السعودية.

---

(١٥٨) لمزيد من تفصيلات تلك القصة يرجع لجحّاف، درر نحور الحور، ص٧٣٠ - ٧٣١.

ومن تلك المراسلات الرسالة التي بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز لكبار مشايخ نجران وزعمائها يشرح لهم فيها مبادئ الدعوة الإصلاحية ويبين لهم ما يدعو إليه أئمة الدولة السعودية، وهذه مقتطفات من رسالة الإمام سعود لأهالي نجران كما وردت في صحيفة أم القرى دون تصحيح:

بسم الله الرحمن الرحيم

"من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهشا وحمزة ومحمد بن حسن وحسين احمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبدالله واحمد معوض واحمد علي بن شما وصالح حسين مسلي، سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات. وبعد الفا علينا مقبل بن عبدالله، وأشرف على ما نحن عليه وما ندعوا إليه وما نأمر به وما ننهى عنه... ونخبركم انا متبعين لا مبتدعين نعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسوله ـ فيما يأمر به وينهى عنه... هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرناه فهو أخونا المسلم حرام المال والدم... وانتم أخص الناس باتباع محمد ـ، والحق عليكم اكبر من غيركم... وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

(الختم الواثق بالله سعود)"(١٥٩).

---

(١٥٩) مقتطفات من رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز لأهالي نجران، نُشرت في صحيفة أم القرى بعد أن قدِم بها وفد من أهل نجران على الملك عبدالعزيز في حج سنة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وطلبوا منه أن يسير فيهم بموجبها، وأن يصدقها. انظر صحيفة أم القرى، ع ٣٨٨، س ٨، الجمعة ١٤ المحرم ١٣٥١هـ/ ٢٠ مايو ١٩٣٢م؛ وانظر مقالاً في مجلة =

ومما سبق يمكن القول إن هناك من أهالي نجران من دخلوا في طاعة الدولة السعودية الأولى، وأعلنوا تبعيتهم لها، ودفعوا الزكاة لأئمتها، ويدعم ذلك ما ذكره ابن بشر من أن الإمام سعودًا بعث عماله إلى بوادي نجران وأنهم قبضوا الزكاة(١٦٠).

ومن الملحوظ أن الدولة السعودية لم تقم بتحركات عسكرية إلى جهات نجران في السنوات ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م، حتى سقوط الدولة السعودية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، لسببين، هما :

انشغال الدولة السعودية وخاصة قواتها في عسير بأحداث المخلاف السليماني واليمن من جهة، لا سيما بعد انشقاق الشريف حمود أبو مسمار، أمير المخلاف السليماني، وتكليف أئمة الدرعية لأمير عسير عبدالوهاب المتحمي بالتقدم ومناجزته وإعادة بسط نفوذ الدولة على المخلاف السليماني وتهامة واليمن، وقد نتج عن ذلك معركة بيش سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م، التي انتصرت فيها القوات السعودية وسقط فيها الأمير عبدالوهاب بن عامر قتيلاً(١٦١). ومن الجدير بذكره أن بعض القوات اليامية شاركت في تلك

= الدارة بعنوان: مبادئ السعودية في وثيقة، ع٢، س١، جمادى الآخرة ١٣٩٥هـ/ يونيه ١٩٧٥م، ص٨ - ٩؛ وانظر النص كاملاً في الملحق رقم (٢).

(١٦٠) ابن بشر، عنوان المجد، ص٣٥٤.

(١٦١) عن تلك الأحداث والتطورات انظر، البهكلي، نفح العود، ص٢٨٤ - ٢٨٨؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٣٠٣ - ٣٠٤.

المعركة إلى جوار الشريف حمود أبو مسمار(١٦٢). وبعد مقتل عبدالوهاب أسند أئمة الدرعية المهمة لأمير عسير الجديد، طامي بن شعيب المتحمي(١٦٣). والثاني، انشغال أئمة الدولة السعودية ابتداءً من سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، حتى سقوط الدولة سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، بالحرب التي شنتها الدولة العثمانية ممثلة في والي مصر محمد علي باشا(١٦٤)، التي كان لها أكبر الأثر في تغيير مجريات الأحداث في الجزيرة العربية عمومًا، وفي علاقة الدولة السعودية بنجران خاصة.

الخاتمة:

كان نجران مطمعًا للقوى المجاورة عبر العصور، لا سيما في العصور الإسلامية المتأخرة والعصر الحديث، ومع ذلك كان يتمتع باستقلاله في إدارة شؤونه الداخلية، لمناعة الإقليم ولشجاعة أهالي نجران وقوتهم في الدفاع عن أراضيهم، وقد ازداد موقفهم قوة بعد ظهور الدعاة المكارمة على المسرح السياسي في نجران بوصفهم زعماءَ روحيين وقادة عسكريين منذ القرن الثاني عشر الهجري، أواخر السابع عشر وأوائل الثامن عشر الميلاديين.

وقد أوضحت الدراسة أن أخبار الدعوة الإصلاحية وصلت إلى نجران منذ وقت مبكر موازنةً ببعض المناطق المجاورة،

---

(١٦٢) البهكلي، نفح العود، ص ٢٨٣، ٢٨٦.

(١٦٣) البهكلي، نفح العود، ص٢٨٩ - ٣٠٧؛ وابن بشر، عنوان المجد، ص٣١٢ - ٣١٣.

(١٦٤) ابن بشر، عنوان المجد، ص٣٢١ - ٤٤٢.

منطقة عسير مثلاً، كما بينت سوء العلاقة بين أئمة الدولة السعودية وزعماء نجران منذ بداية العلاقة بين الطرفين، ومن ذلك هجوم زعيم نجران المبكر على الدولة السعودية سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م، وإلحاق هزيمة كبيرة بالقوات السعودية. ثم أظهرت الدراسة أن الخلاف المذهبي لم يكن المحرك الرئيس في تقدم زعيم نجران الحسن بن هبة الله المكرمي وقواته إلى نجد وخوض معركة الحائر؛ بل يعود إلى نصرة أبناء عمومتهم العجمان الذين استنجدوا بهم بعد هجوم القوات السعودية القوي عليهم في معركة قذلة سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م.

وأيضًا أوضحت الدراسة أنه بعد أن تغيّر ميزان القوى لمصلحة الدولة السعودية، وبعد أن أخذت زمام المبادرة بالهجوم على نجران ابتداءً من سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م، لم يقم زعماء نجران بأي رد فعل تجاه تلك الحملات المتكررة عليهم، ولعل ذلك عائد إلى إدراكهم لقوة الدولة السعودية، لا سيما بعد أن سيطروا على الأحساء، وشرق الجزيرة العربية، والحجاز، وعسير، والمخلاف السليماني، وبعض المناطق في اليمن، حيث أدرك النجرانيون أن قيامهم بأي رد فعل داخل نجد سوف يكلفهم استقلاليتهم بنجران.

وكذلك كشفت الدراسة أن الخلافات الحاصلة بين الشريف حمود أبو مسمار في المخلاف السليماني وأئمة الدولة السعودية الأولى، وأمير عسير خاصةً، كانت عائقًا أمام تقدم القوات السعودية وتركيز هجماتها على نجران

حتى تتمكن من السيطرة عليه كحال المناطق الأخرى التي هي أكثر قوة من نجران، وبلا شك فإن تحرك الدولة العثمانية ممثلة في محمد علي باشا وخوضها حربًا شعواء ضد السعوديين جاء ليعوق الدولة من السيطرة على إقليم نجران؛ بل أفقد الدولة استمراريتها حيث سقطت سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

وأخيرًا أوضحت الدراسة أن نجران خضع للحكم السعودي الأول، حيث أعلن عدد من زعماء نجران ومشايخها وأهاليها دخولهم في طاعة الدولة السعودية ودفعوا الزكاة لأئمة تلك الدولة.

الملحقات

ملحق رقم (١)

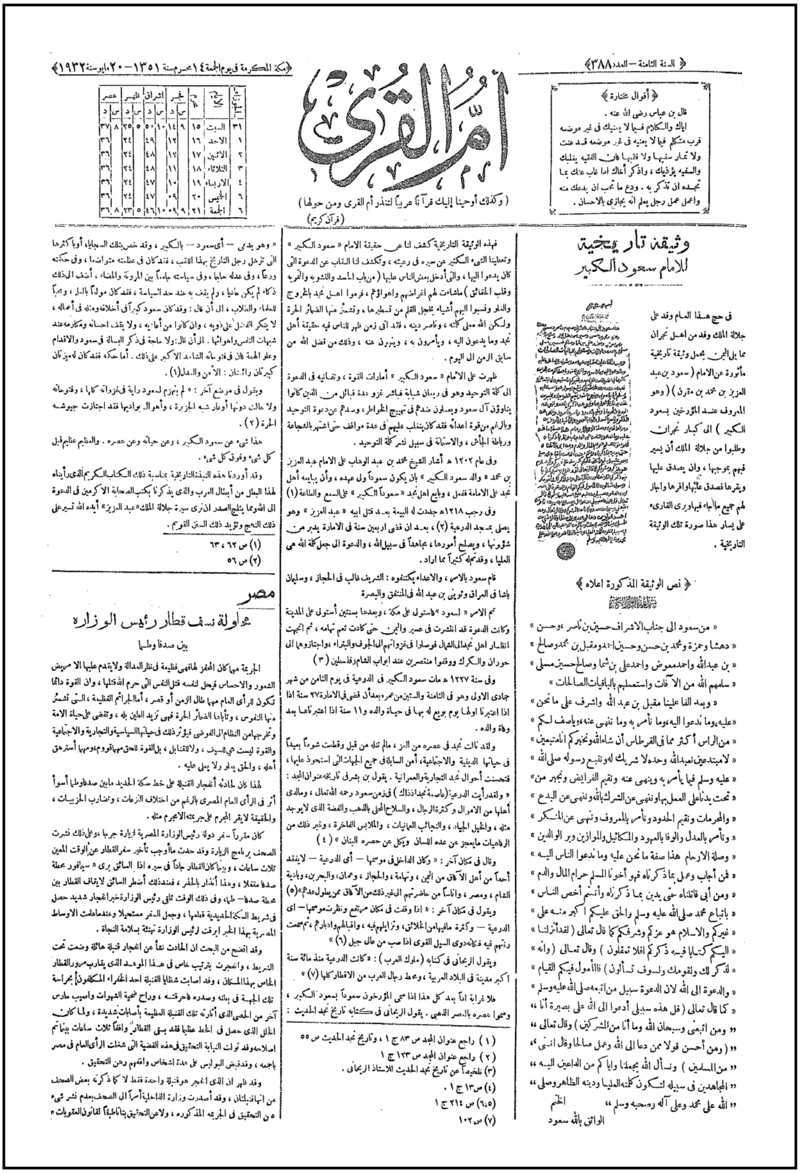

﴿ السنة الثامنة — العدد ٣٨٨ ﴾

أم القرى

(وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها)
(قرآن كريم)

﴿ مكة المكرمة في يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ١٣٥١ — ٢٠ مايو سنة ١٩٣٢ ﴾

[illegible]	الأيام	محرم	فجر		اشراق		ظهر		عصر	
			س	د	س	د	س	د	س	د
٣١	السبت	١٥	٩	١٤	١٠	٥٠	٥	٢٥	٨	٣٧
١	الاحد	١٦		١٢		٤٩		٢٤		٣٦
٢	الاثنين	١٧		١٢		٤٨		٢٤		٣٦
٣	الثلاثاء	١٨		١١		٤٨		٢٤		٣٦
٤	الاربعاء	١٩		١٠		٤٧		٢٤		٣٦
٦	الخميس	٢٠		٠٩		٤٧		٢٤		٣٦
٦	الجمعة	٢١	٩	٠٩	١٠	٤٦	٥	٢٣	٨	٣٦

﴿ أقوال مختارة ﴾

قال بن عباس رضى الله عنه .
اياك والكلام فيما لا يعنيك فى غير موضعه فرب متكلم فيما لا يعنيه فى غير موضعه قد عنت ولا تمار سفيها ولا فقيها فان الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك ، واذكر أخاك اذا غاب عنك بما تحب ان تذكر به . ودع ما تحب ان يدعك منه واعمل عمل رجل يعلم انه يجازى بالاحسان .

وثيقة تاريخية
للامام سعود الكبير

فى حج هذا العام وفد على جلالة الملك وفد من اهل نجران مما يلى اليمن يحمل وثيقة تاريخية مأثورة عن الامام (سعود بن عبد العزيز بن محمد بن مقرن) (وهو المعروف عند المؤرخين بسعود الكبير) الى كبار نجران وطلبوا من جلالة الملك أن يسير فيهم بموجبها ، وان يصدق عليها ويقرها فصدق عليها واقرها واجاز لهم جميع ما جاء فيها ويرى القارىء على يسار هذا صورة تلك الوثيقة التاريخية .

﴿ نص الوثيقة المذكورة اعلاه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

« من سعود الى جناب الاشراف حسين بن ناصر ، وحسن »
« دهشا وحمزة ومحمد بن حسن وحسين احمد ومقبل بن محمد وصالح »
« بن عبد الله واحمد مموض واحمد على بن شما وصالح حسين مسلى »
« سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات »
« وبعد الفا علينا مقبل بن عبد الله واشرف على ما نحن »
« عليه ، وما ندعوا اليه ، وما نأمر به وما ننهى عنه ، ويا صف لكم »
« من الراس أكثر مما فى القرطاس أن شاء الله ونخبركم انا متبعين »
« لا مبتدعين نعبد الله وحده لا شريك له ونتبع رسوله صلى الله »
« عليه وسلم فيما يأمر به وينهى عنه ونقيم الفرايض ونجبر من »
« تحت يدنا على العمل بها وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع »
« والمحرمات ونقيم الحدود ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر »
« ونأمر بالعدل والوفا بالعهود والمكاييل والموازين وبر الوالدين »
« وصلة الارحام هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا الناس اليه »
« فمن أجاب وعمل بما ذكرناه فهو أخونا المسلم حرام المال والدم »
« ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرناه وأنتم أخص الناس »
« باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والحق عليكم أكبر منه على »
« غيركم والاسلام هو عزكم وشرفكم كما قال تعالى (لقد أنزلنا »
« اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون) وقال تعالى (وانه »
« لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون) فالمأمول فيكم القيام »
« والدعوة الى الله لان الدعوة سبيل من اتبعه صلى الله عليه وسلم »
« كما قال تعالى (قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا »
« ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) وقال تعالى »
« (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى »
« من المسلمين) ونسأل الله يجعلنا واياكم من الداعين اليه »
« المجاهدين فى سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر وصلى »
« الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

الختم
الواثق بالله سعود

فهذه الوثيقة التاريخية كشف لنا عن حقيقة الامام « سعود الكبير » وتعطينا الشىء الكثير عن سيرته فى رعيته ، وتكشف لنا النقاب عن الدعوة التى كان يدعوا اليها ، والتى أدخل بعض الناس عليها (من باب الحسد والتشويه والتمويه وقلب الحقائق) ما شاءت لهم اغراضهم واهواؤهم ، فرموا اهل نجد بالخروج والغلو ونسبوا اليهم أشياء يخجل القلم من تسطيرها ، وتشمئز منها الضمائر الحرة ولكن الله معلى كلمته ، وناصر دينه ، فقد آن زمن ظهر للناس فيه حقيقة أهل نجد وما يدعون اليه ، ويأمرون به ، وينهون عنه ، وذلك من فضل الله من سابق الزمن الى اليوم .

ظهرت على الامام « سعود الكبير » أمارات القوة ، وتفانيه فى الدعوة الى كلمة التوحيد وهو فى ريعان شبابه فباشر غزو عدة قبائل من الذين كانوا يناوؤن آل سعود ويعملون ضدهم فى تهييج الخواطر ، وصدهم عن دعوة التوحيد وبالرغم من قوة اعدائه فقد كان يتغلب عليهم فى عدة مواقف حتى اشتهر بالشجاعة ورباطة الجأش ، والاستماتة فى سبيل نشر كلمة التوحيد .

وفى عام ١٢٠٢ هـ أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الامام عبد العزيز بن محمد « والد سعود الكبير » بان يكون سعوداً ولى عهده ، وأن يبايعه أهل نجد على الامامة ففعل ، وبايع اهل نجد « سعوداً الكبير » على السمع والطاعة (١)

وفى رجب ١٢١٨ هـ جددت له البيعة بعد قتل ابيه « عبد العزيز » وهو يصلى بمسجد الدرعية (٢) ، بعد ان قضى اربعين سنة فى الامارة يدبر من شؤونها ، ويصلح أمورها ، مجاهداً فى سبيل الله ، والدعوة الى جعل كلمة الله هى العليا ، وقد تم له كثيراً مما اراد .

قام سعود بالامر ، والاعداء يكتنفوه : الشريف غالب فى الحجاز ، وسليمان باشا فى العراق وثوينى بن عبد الله فى المنتفق والبصرة

تم الامر « لسعود » فاستولى على مكة ، وبعدها بسنتين أستولى على المدينة وكانت الدعوة قد انتشرت فى عسير واليمن حتى كادت تعم تهامه ، ثم اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا فى غزواتهم الى الجوف والبتراء ، واجتازوها الى حوران والكرك ووقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين (٣)

وفى سنة ١٢٢٧ هـ مات سعود الكبير فى الدرعية فى يوم الثامن من شهر جمادى الاولى وهو فى الثامنة والستين من عمره بعد أن قضى فى الامارة ٢٧ سنة اذا اذا اعتبرنا اولها يوم بويع له بها فى حياة والده و ١١ سنة اذا اعتبرناها بعد وفاة والده .

ولقد نالت نجد فى عصره من العز ، مالم تنله من قبل وقطعت شوطاً بعيداً فى حياتها الدينية والاجتماعية ، أمن السابلة فى جميع الجهات التى استحوذ عليها ، فتحسنت أحوال نجد التجارية والعمرانية . يقول بن بشر فى تاريخه عنوان المجد : « ولقد رأيت الدرعية (عاصمة نجد اذ ذاك) فى زمن سعود رحمه الله تعالى ، ومالدى أهلها من الاموال وكثرة الرجال ، والسلاح المحلى بالذهب والفضة الذى لا يوجد مثله ، والخيل الجياد ، والنجائب العمانيات ، والملابس الفاخرة ، وغير ذلك من الرفاهيات ما يعجز عن عده اللسان ويكل عن حصره البنان » (٤)

وقال فى مكان آخر : « وكان الداخل فى موسمها — أى الدرعية — لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن ، وتهامة ، والحجاز ، وعمان ، والبحرين ، وبادية الشام ، ومصر ، واناساً من حاضرتهم الى غير ذلك من الآفاق ممن يطول عدهم » (٥)

ويقول فى مكان آخر : « اذا وقفت فى مكان مرتفع ونظرت موسمها — اى الدرعية — وكثرة ما فيها من الخلائق ، وتزايلهم فيه ، واقبالهم وادبارهم ، ثم سمعت رنتهم فيه فكأنه دوى السيل القوى اذا صب من عالى جبل (٦) »

ويقول الريحانى فى كتابه (ملوك العرب) : « كانت الدرعية منذ مائة سنة اكبر مدينة فى البلاد العربية ، ومحط رجال العرب من الاقطار كلها (٧) »

فلا غرابة اذاً بعد كل هذا اذا سمى المؤرخون سعوداً بسعود الكبير ، وسموا عصره بالعصر الذهبى . يقول الريحانى فى كتابه تاريخ نجد الحديث : « وهو يدعى — أى سعود — بالكبير ، وقد خص بتلك السجايا ، أو باكثرها التى تؤهل رجل التاريخ بهذا اللقب ، فقد كان فى عظمته متواضعا ، وفى حكمته ورعاً ، وفى عدله حليما ، وفى سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء ، أضف الى ذلك ذكاء لم يكن عاديا ، ولم يقف به عند حد السياسة ، فقد كان مولعاً بالعلم ، ومحباً للعلماء والطلاب ، الى أن قال : وقد كان سعود كبيراً فى أخلاقه ومنه فى أعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه ، وان كانوا من أعاديه ، ولا يقف احسانه ومكارمه عند شبهات النفس واهوائها . الى أن قال : ولا حاجة فى ذكر البسالة فى سعود والاقدام وعلو الهمة فان فى فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك . أما حكمه فقد كان له ميزتان كبيرتان رائعتان : الأمن والعدل (١) .

ويقول فى موضع آخر : « لم ينهزم لسعود راية فى غزواته كلها ، وفتوحاته ولا حالت دونها أوعار شبه الجزيرة ، وأهوال بواديها فقد اجتازت جيوشه الحرة (٢) .

هذا شىء عن سعود الكبير ، وعن حياته وعن عصره . والعظيم عظيم قبل كل شىء وفوق كل شىء .

وقد أوردنا هذه النبذة التاريخية بمناسبة ذلك الكتاب الكريم الذى رأيناه لهذا البطل من أبطال العرب والذى يذكرنا بكتب الصحابة الاكرمين فى الدعوة الى الله ومما يثلج الصدر ان نرى سيرة جلالة الملك « عبد العزيز » أيده الله تسير على ذلك النهج وتؤيد ذلك السنن القويم .

---

(١) راجع عنوان المجد ص ٨٣ ج ١ ، وتاريخ نجد الحديث ص ٥٥
(٢) راجع عنوان المجد ص ١٢٣ ج ١
(٣) تلخيصاً عن تاريخ نجد الحديث للاستاذ الريحانى .
(٤) ص ١٣ ج ١ .
(٥،٦) ص ٢١٤ ج ١
(٧) ص ١٠٢

(١) ص ٦٢ ، ٦٣
(٢) ص ٥٦

مصر

محاولة نسف قطار رئيس الوزارة

بين صدفا وطما

الجريمة مهما كان الحفز لها فهى فظيعة فى نظر العدالة ولا يقدم عليها الا مريض الشعور والاحساس فيحل لنفسه قتل النفس التى حرم الله قتلها ، وان القوة دائما تكون للرأى العام مهما طال الزمن أو قصر ، أما الجرائم الفظيعة ، التى تشمئز منها النفوس ، وتأباها الضمائر الحرة فهى تزيد الطين بله ، وتقضى على حياة الامة وتخرجها من النظام الى الفوضى فيؤثر ذلك فى حياتها السياسية والتجارية والاجتماعية والقوة ليست هى السيف ، ولا القنابل ، بل القوة للحق مهما قووم ، ومهما أسترهق أهله ، والحق يعلو ولا يعلى عليه .

لهذا كان لحادثه أنفجار القنبلة على خط سكة الحديد ما بين صدفا وطما أسوأ أثر فى الرأى العام المصرى بالرغم من اختلاف النزعات ، وتضارب الحزبيات ، والحقيقة لا يقر الجرم على جريمته الا مجرم مثله .

كان مقرراً سفر دولة رئيس الوزارة المصرية لزيارة جرجا ، وعلى ذلك نشرت الصحف برنامج الزيارة وقد حدث ما أوجب تأخير سفر القطار عن الوقت المعين ثلاث ساعات ، وبينما كان القطار جاداً فى سيره اذا السائق يرى « سيمافور محطة صدفا مقفلا ، وهذا أنذار بالخطر ، فعندذلك أضطر السائق لايقاف القطار بين محطة صدفا — طما ، وفى ذلك الوقت تلقى رئيس الوزارة خبر انفجار شديد حصل فى شريط السكة الحديدية قبلها ، وجعل السفر مستحيلا وعندما علمت الاوساط المصرية بهذا الخبر ابرقت لرئيس الوزارة تهنئة بسلامة النجاة .

وقد اتضح من البحث ان الحادث نشأ عن انفجار قنبلة هائلة وضعت تحت الشريط ، وانفجرت بترتيب خاص فى هذا الموعد الذى يقارب مرور القطار الخاص بهذا المكان ، وقد اصابت شظايا القنبلة احد الخفراء المكلفون بحراسة تلك الجهة فى بطنه وصدره فاحرقته ، وراح ضحية الشهوات واصيب حارس آخر من الحصى الذى أثارته تلك القنبلة المظيمة بأصابات شديدة ، ولما كان الخلل الذى حصل فى الخط عظيما فقد بقى القطار واقفاً ثلاث ساعات بينما تم اصلاحه وقد تولت النيابة التحقيق فى هذه القضية التى شغلت الرأى العام فى مصر باجمه ، وقد قبض البوليس على عدة اشخاص واقفوهم رهن التحقيق .

وقد ظهر ان الذى انفجر هو قنبلة واحدة فقط لا كما ذكرته بعض الصحف من انها قنبلتان ، وقد أصدرت وزارة الداخلية أمراً الى الصحف بعدم نشر شىء عن التحقيق فى الجريمه المذكوره ، ولا عن التحقيق بتاتاً طبقاً لقانون العقوبات .

ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

"من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهشا وحمزة ومحمد بن حسن وحسين احمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبدالله واحمد معوض واحمد علي بن شما وصالح حسين مسلي، سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات. وبعد الفا علينا مقبل بن عبدالله، وأشرف على ما نحن عليه وما ندعوا إليه وما نأمر به وما ننهى عنه، ويا صف لكم من الرأس أكثر مما في القرطاس أن شاء الله. ونخبركم أنا متبعين لا مبتدعين نعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسوله _ فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرايض ونجبر من تحت يدنا على العمل بها وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع والمحرمات ونقيم الحدود ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكائيل والموازين وبر الوالدين وصلة الأرحام. هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا الناس اليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرناه فهو أخونا المسلم حرام المال والدم، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرناه، وأنتم أخص الناس باتباع محمد _، والحق عليكم اكبر منه على غيركم، والاسلام هو عزكم وشرفكم، كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. فالمأمول فيكم القيام بالدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه صلى الله عليه

وسلم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [**يوسف**: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [**فصلت**: ٣٣]. ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين في سبيله، لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

(الختم الواثق بالله سعود)"(١٦٥).

---

(١٦٥) نص رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز لأهالي نجران، سبقت الإشارة إليها، وكما هو ملحوظ لم أصحح الأخطاء الواردة في النص، بل أُبقيت كما هي.